المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٤

شكسبير

كيفية وصوله الى الشهرة

ذكرنا في الجزء السابق ان شكسبير اضطرّ ان يترك المدرسة وعمرهُ اربع عشرة سنة لان اباهُ احتاج اليهِ لكي يساعدهُ بعد ما اصيب بضيق مالي . وقد ذكر بعض معاصريهِ انهُ ساعدهُ فعلاً في بعض الاعمال التي اكتفى بها بعد ان ضاقت دائرة عملهِ لضيق ذات يدهِ اي ذبح الغنم والبقر وبيع الجلود والصوف . وروي انهُ علّم ايضاً في مدرسة صغيرة لانهُ كان عارفاً باللاتينية ودخل مكتب احد المحامين مساعداً لهُ . وسواء صحّت هذه الروايات اولم تصحّ فلا شبهة في انهُ اقام بضع سنوات بعد خروجهِ من المدرسة يتوخّى مختلف الاعمال لكي يكتسب ما يعين بهِ اباهُ كما يفعل كثيرون من الشبان لدى خروجهم من المدرسة . والحاجة تفتق الحيلة ولاسيما اذا عاش المرء في نعمة ثم حُرِمها . والظاهر ان الالعاب التي شاهدها في صباهُ كانت تخطر على بالهِ وهو ميّال اليها بالطبع ومجالها واسع في ستراتفورد في النهر والحقل والغاب فشارك الشبان فيها الى ان صار يدخل حرم الاغنياء ويصطاد ما فيهِ من الغزلان وهو امر محرّم عندهم لكن الذي يقدم عليهِ تقوى فيهِ ملكة اقتحام المخاطر لانهُ ليس سرقةً تعاب على اصحابها بل هو نوع من التسلي فيهِ شيءٌ من الكسب . ومن هؤلاء الاغنياء رجل اسمهُ السر توماس لوسي . ويقال ان هذا الرجل قاضاهُ لاعتدائهِ على الصيد في حرمهِ فنظم شكسبير قصيدةً في هجائهِ فزاد غيظاً وخاف شكسبير تبعة عملهِ فهجر ستراتفورد وجاء لندن . ويقال ان السر توماس لوسي كان من المتحمسين في مذهب البروتستانت وكانت ام شكسبير من الكاثوليك وقد قصد واحد من اقاربها ان يغتال الملكة اليصابات فحوكم وحكم عليهِ بالقتل وان ذلك حمل السر توماس لوسي على الانتقام من شكسبير لما دخل حرمهُ

للعيد فيه فزاد شكسبير شيئاً منهُ لانهُ جعل التعصب وسيلة للانتقام وحفظ العيد واشار الى هذه الحادثة في بعض رواياتهِ مورّياً عنها

وفي تلك الاثناء اقترن بفتاة اسمها حنة هاثواي وكان عمرهُ تسع عشرة سنة لا غير وعمرها سبعاً وعشرين سنة وكانت الصداقة محكمة بين بيت ابيها وبيت ابيهِ وتدلُّ الدلائل كلها على ان زواجهُ الباكر جعلهُ « بركز » ويقلع عن مخالفات الصبا ويوجه كل قواهُ الى ما يصلح شؤونهُ ويرفع مقامهُ بين قومهِ وكانت زوجتهُ من فضليات النساء فعاونتهُ وادارت بيتهُ بالحكمة والسداد حتى أغنتهُ عن الاهتمام بهِ ومكّنتهُ من الانصراف الى عملهِ فانهُ من حين تزوج غيّر سيرهُ السابق وعكف على العمل المنتج. ورزق منها ابنة في السنة الاولى وتوأمين بعد سنتين ابناً وابنة فصار لهُ زوجة وثلاثة اولاد وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ فثقل الحمل عليهِ. والحازم النديب لا يرزح تحت الحمل الثقيل بل يزيد همةً ونشاطاً فنظر الى ما حولهُ ورأى ان لا سبيل لهُ للكسب الكافي الاَّ في العاصمة وفي ملاعبها وكان قد مارس التمثيل في بلدهِ ورأى بعض بوادر الفلاح فيهِ

ولا يُعلم تماماً في اية سنة قصد مدينة لندن لهذه الغاية ولكن يعلم ان ثلاثة « اجواق » من اجواق التمثيل جاءت ستراتفورد سنة ١٥٨٧ وكان في احدها ثلاثة من ابناء بلدهِ فلا يبعد ان يكون قد رافق واحداً منها حينئذٍ الى لندن ومن المحتمل ان يكون قد ذهب الى لندن قبل ذلك وعاد الى بلدهِ مع احد الاجواق التي جاءتها سنة ١٥٨٧. ويروى انهُ لما ذهب الى لندن اولاً لم يكن يباح لهُ ان يشترك في التمثيل بل كان يقف امام باب الملعب يمسك خيول الذين يأتونهُ من جلّة القوم راكبين واستخدم لذلك بعض الاولاد فكانوا يسمون اولاد شكسبير. وليس في هذه الرواية ما يحط من قدرهِ ان صحت بل هي تدلُّ على حبهِ للعمل ومقدرتهِ على تنظيمهِ

والمرجح انهُ عُني حينئذٍ بتعلم الفرنسوية والايطالية لكي يقرأ ما فيهما من التواريخ والقصص التي تساعدهُ في صناعة التمثيل وتأليف الروايات. وكان استاذهُ في هاتين اللغتين رجل اسمهُ جون فلوريو وقد وُجدت قصيدة في مدح فلوريو هذا والمرجح انها من نظم شكسبير اي انهُ مدح فلوريو لعلمهِ وفضلهِ كما ذمَّ السر توماس لومي لجهلهِ وتعصبهِ فاستخدم قريحتهُ في الحالين للتعبير عما في نفسهِ. وقد وجدت نسخة من مقالات مونتانيه الكاتب الفرنسوي المشهور وثبت بالادلة القاطعة انها كانت تخص شكسبير وعليها اسمهُ بخطهِ وهي التي حررها وطبعها فلوريو. وكان فلوريو وشكسبير صديقين للورد سوثهمبتون وكان

هذا الشريف يجلّ قدرها لانهُ كان كريماً جوّاداً ومن انصار الآداب والمعارف واليهِ اهدى شكسبير قصيدتهُ البليغة التي سماها تموز والزهرة (ادونس وڤينس) وقصيدتهُ الاخرى المسماة لوكريس

وتمّم شكسبير للايطالية والفرنسوية لمطالعة كتبها وورواياتها لا ينفي ان يكون قد قرأ بالانكليزية ما تُرجم اليها منهما في ذلك العهد وبنى عليهِ كثيراً من رواياتهِ . وقد كان كثيرون من شركائهِ في التمثيل عارفين باللغة الايطالية ومن الذين سافروا في ايطاليا وشاهدوا التمثيل فيها

وواظب على ممارسة التمثيل والاستعداد لهُ بدرس اللغات والمؤلفات الى ان بلغ سنة ١٥٩٢ درجة يُحسَد عليها . والمرجح انهُ كان حينئذٍ قد انشأ ثلاثاً من رواياتهِ التمثيلية ونجح في اختيار المواضيع التاريخية لما فاق بذلك معاصريهِ وجمع بين التمثيل وانشاء الروايات كما يظهر من طعن احد معاصريهِ عليهِ وهو عالم اسمهُ غرين فانهُ انف من ان قروياً مثل شكسبير يتخرج في مدرسة عالية يزاحمهُ في صناعتهِ ويفوقهُ فيها . لكن غرين هذا لم يسعهُ الاَّ ان شهد لشكسبير بالاجتهاد والمقدرة والنجاح كممثل وكمنشىء . وزاد شكسبير همّة ونشاطاً بعد ذلك فنظم في ست سنوات قصيدتيهِ تموز والزهرة ولوكريس وخمس عشرة رواية من رواياتهِ بعضها من نوع التراجيديا وبعضها من الكوميديا وبعضها من الروايات التاريخية وعُرف حينئذٍ انهُ من نوابغ الشعراء واكابر المؤلفين والممثلين

واتفق ان العصر الذي قام فيهِ كان عصراً تزهو فيهِ القرائح ولا تخمل وقوت . عصر الملكة اليصابات المشهور في تاريخ البلاد الانكليزية بارتقاء كل شيء وطني وبكسر قيود التقاليد والاوهام وحسبانها الد اعداء الانسان وانصراف الناس الى ما يعني شأن وطنهم وبعيد لمذكرى ملوكهم السالفين . فتهيأت للتمثيل الوطني افضل المعدات في الافكار والآراء كما كادت تتهيأ للتمثيل العربي في هذا العصر اذا عرف الممثلون كيف ينتهزون هذه الفرصة التي يراد بها اعادة مجد العرب . وكما تهيأت في اثينا على عهد بركليس

وكانت دور التمثيل قد انشئت في ضواحي لندن واجيز لها رسمياً ونسبت الى عظماء المملكة وتعددت الاجواق التي تمثل فيها . والجوق الذي انتظم شكسبير فيهِ كان اسم رئيسهِ برباج وهو رجل همام اقام داراً خصوصية للتمثيل في لندن نفسها سميت بالتياترو وهي اول مشهد تمثيلي اقيم في لندن ثم اقام داراً ثانية مسقوفة وعليهِ فلما اتى شكسبير لندن كانت دور التمثيل منتشرة فيها وفي ضواحيها وهي مكشوفة كلها الاَّ الدار الاخيرة التي

اقامها برباج في بلاكفريار فانها كانت مسقوفة يُمثَّل فيها زمن المطر . وكان حاكم المدينة وشيوخها وبعض القسوس غير راضين عن التمثيل لكن اذا وضع الشيء في محله فالمقاومة تزيده رسوخاً كما تفعل الرياح بالاشجار فان بيت الملك واشراف المملكة وجمهور الشعب كانوا راضين عن التمثيل راغبين فيه . ثم اشتركت الاجواق كلها واختير منها اثنا عشر ممثلاً سموا ممثلي الملكة وكان اكثرهم من جوق امير لستر فكانوا يمثلون امام الملكة اليصابات وحاشيتها . وتوفي برباج وخلفهُ ابنهُ رتشرد برباج وكان اعلى منهُ همة فاعاد بناء التياترو المسقوف ووسعهُ واشترك مع شكسبير لانهُ رأى براعتهُ في التمثيل وفي انشاء الروايات التمثيلية فنال جانباً كبيراً من الربح . وبني حينئذٍ التياترو الكبير المعروف بتياترو الكرة ودامت روايات شكسبير تمثَّل فيه خمس عشرة سنة في فصلي الصيف والخريف وفي التياترو المسقوف في الشتاء والربيع

ولما آل الملك الى الملك جمس الاول اغدق نعمهُ على ممثلي الملكة فسموا ممثلي الملك

وقد حقق كتَّاب الانكليز اي الروايات مثَّل في هذا التياترو اولاً وايها مُثل في ذاك وكيف توسَّع شكسبير في تأليفها من وقت الى آخر فزاد فيها ونقص منها وكيف انهُ كان يكتفي بالتأليف او بكتابة رؤوس الاقلام وغيرهُ ينسخ ويحرر وينقح مما لا حاجة بنا الى الاطالة فيه لان ليس غرضنا ان نبين ما انشأهُ هو وما يقال ان غيرهُ انشأهُ ونسب اليه وانما غرضنا ان نبين اسباب نجاحه

والظاهر ان التمثيل نفسهُ كان قد ارتقى في عهد شكسبير من حيث انشاء الروايات ومن حيث تمثيلها وكان قد انقسم فرعين كبيرين واختار طريقين مختلفين انواحد اعتمد على ما يسمَّى باللغة التعجمي والامور القديمة كما لو انشأ عندنا منشيء رواية باللغة التي كانت مستعملة في عصر امرىء القيس واكثر فيها من الالفاظ المخضمة والتعابير المقعرة والامثال القديمة لكي يعلو عن مدارك الجمهور والف آخر رواية على اسلوب عصري واكثر فيها من التعابير المألوفة والامثال المأنوسة ولو عامية . وقد اختار بعضهم اسلوباً متوسطاً بين هذين الاسلوبين كما يختار المؤلف منا في انشائهِ ما يسمَّى بالسهل الممتنع فلا تقعروا كالمتفاصحين ولا ابتذلوا كالمتهتكين بل جمعوا بين قصص القدماء ومعانيهم واساليب المحدثين في التعبير الصحيح عنها وطبقوها على عصرهم ورصَّعوا رواياتهم بالشعر النفيس والغناء المطرب وكل ما يلذ للخاصة والعامَّة ويهذب اخلاقهم ويثقف عقولهم ويزيد حبهم لوطنهم . وظهر شكسبير في تلك الاونة فحقق كل ما ينتظر من ذلك الاسلوب بعد ان وطد اركانهُ واعلى منارهُ وربما توسعنا في هذا الموضوع في فرصة أُخرى

غـــون مـــبرو

مقتطف سبتمبر ١٩١٦
امام الصفحة ٢١٣

غستون مسبرو

نعى البرق الينا المرحوم السرغستون مسبرو المدير السابق لدار الآثار المصرية واكبر علماء الآثار المصرية في هذا العصر. توفي فجأة في ٣٠ يونيو الماضي بباريس وهو يشهد جلسة لمجمع الكتابات القديمة والآداب. وقد جاءتنا مقالة عنهُ لحضرة صاحب الامضاء قال فيها ما خلاصتهُ:

مثل مسبرو من تظهرهُ اعمالهُ وامثالهُ قليلون. وهو ايطالي الاصل ولكنهُ ولد في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٤٦ فيكون قد عاش ٧٠ سنة واسبوعاً واحداً

أسس المتحف المصري ماريت باشا في عهد سعيد باشا والي مصر ولا يزال لهُ في سقارة منزل معروف باسمهِ. وقد مات في مصر ودفن في حديقة المتحف الذي أسس اولاً في بولاق واقيم لهُ تمثال في المتحف الجديد بقصر النيل وسمي اكبر شارع تجاه المتحف باسمهِ. وتولى ادارة المتحف من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٨١. وخلفهُ مسبرو لاول مرة حتى سنة ١٨٨٦ ثم جربيو الى سنة ١٨٩٢. ثم دي مورجان الى سنة ١٨٩٧. ثم لوريه الى ١٨٩٩. ثم صاحب الترجمة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ حينما استقال في اوائل هذه الحرب وعاد الى باريس. وكان لهُ نجلان هنري وجان. فانتظم جان في الجيش الفرنسوي وقتل في اوائل سنة ١٩١٥. فلما وافى اباهُ نعيهُ أصيب بداء عضال ما زال بهِ حتى قضى عليهِ. وكان ابنهُ جان كاتباً لهُ ثلاثة مؤلفات في النظامات الحربية المصرية في عهد الدولة البيزنطية. واشتغل بالفهرس العام لدار الآثار المصرية وهو ثلاثة اجزاء صحح الاخير قبل قتل موتهِ. فانهُ كان قد أصيب بجرح ومنح اجازة قضاها في تصحيح هذا الجزء. وقد طبعهُ والدهُ بعد وفاتهِ وصدرهُ بمقدمة بليغة شرح فيها عظم مصابهِ بابنهِ وختمها ببيان مؤلفاتهِ ومقالاتهِ العديدة المطبوعة في المجلات العلمية

كتب المترجم كثيراً وخطب كثيراً في الاندية والمجتمعات العلمية. وكان شاعراً يظهر اثر شعرهِ وخيالهِ السامي في وصف آثار مصر المدهشة فاذا وصف حقائق المدنية المصرية القديمة لم يترك مجالاً لقائل. وكان غاية في التواضع حتى لم يكن يرضى الوقوف امام المصوّر لاخذ صورتهِ فلذلك نرى صورهُ الفتوغرافية قليلة لا تعرف منها غير صورة اخذت يوم رأس المعهد العلمي المصري في القاهرة. ووجدت لهُ صورة أخرى صورت سنة ١٩١٢. وهي تمثلهُ واقفاً بجانب آثار دير المدينة او الدير البحري في طيبة بعد اكتشافاتهِ المشهورة. وقد بلغني ان حضرة احمد بك كمال الامين المصري لدار التحف السابق مشتغل بوضع ترجمة وافية للفقيد يذكر فيها اعمالهُ وآثارهُ ونام العمل

والى القراء اسماء مؤلفاته نقلاً عما هو محفوظ في دار الكتب السلطانية

الكتابة المنقوشة في هيكل ايدوس (العرابة المدفونة في البلينا) . نقلها وترجمها الى الفرنسوية وعلق عليها واتبعها بتبذة في شباب سيزوستريس . طبع في باريس سنة ١٨٦٧ طبعة حجر في ٨٠ صفحة

مديح الليل . نقلهُ عن النصوص المحفوظة في دار التحف البريطانية . طبع في باريس طبعة حجر سنة ١٨٦٨ في ٣٢ صفحة . وقد ترجمهُ احمد بك كمال ونشرهُ في كتاب العقد الثمين في محاسن اخبار و بدائع آثار الاقدمين من المصريين وهو مذكور في تاريخ المشرق الذي ترجمهُ سعادة احمد زكي باشا

مؤلف في اصول اللغة المصرية القديمة باشكالها الثلاثة — الهيروغليفية والديموتيقية والهيراتيقية . طبع على حجر في باريس سنة ١٨٧١ . وكان عارفاً باللغة القبطية نطبع شذرات من العهد القديم بالقبطية الصعيدية وجدت في الدير الابيض باخميم . واشتغل بالاوراق البردية واطال البحث فيها بعد ان اكثرت متاحف اوربا من اقتنائها وتهافت العلماء على الفلاحين لشرائها منهم . وكان الفلاحون يجدونها في اكوام السباخ

تاريخ امم المشرق القديمة . وهو في ثلاثة اجزاء طبع في باريس من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وترجم الى الانكليزية بقلم الاستاذ سايس ومالك كلور وبرابورت في ١٢ جزءاً

تحقيق قضائي في طيبة في عهد العائلة العشرين . طبع في باريس سنة ١٨٧١ في ٨٦ صفحة

وقد ترجم من اللغات الاوربية الى الفرنسوية ما رآهُ نافعاً في موضوعهِ كما ترجمت مؤلفاتهُ الى تلك اللغات . وكان يوافي الجرائد والمجلات بمقالات ونبذ ورسائل نافعة كلما سنحت لهُ الفرصة و ببيانات اعمال مجمع الكتابات والآداب في باريس من سنة ١٨٨ وكان سكرتيرهُ الدائم . وفي قاعة محاضراته قبض الى ربهِ كما تقدمت الاشارة اليهِ . وكان يحف اعضاءهُ كلما ام باريس لقضاء اجازتهِ السنوية فيها بمقالات لها المقام الاول او يراسل بها الرئيس فتقرأ بين اعجاب الاعضاء وثقتهم بعلم صاحبها . وكان عضواً في معهد فرنسا العلمي (الانستتو) وفي لجنة تحرير مجلة العلماء التي تصدر في باريس منذ قرن من الزمان وفي جمعيات علمية كثيرة اجنبية كالجمعية الاسيوية الملكية في انكلترا وفي ايطاليا

وكان عالماً باللاتينية وقد وضع رسالة بها سنة ١٨٧٢ في مكان كركيش وعلاقتها بالتاريخ القديم . وعلى بحثهِ في التاريخ القديم صنعت الاطالس والخرائط القديمة . ولم يعقد مؤتمر دولي للمستشرقين الاَّ ولصاحب الترجمة المقام الاول فيهِ . وكان يختار لرآسة القسم

الشرقي فيه عامة او القسم المصري خاصة . وكان يكتب بعض المقالات او مقدمات الكتب بالانكليزية والايطالية والالمانية واليونانية القديمة مما دل على تضلعه منها

واشتغل بوضع مؤلف خاص بالحكايات المصرية القديمة وجمع المواويل وما ينشد نظماً في مصر باللغة العربية العامية وترجمهُ الى الفرنسوية وطبعهُ بها . وكان يكتب في المجلة المعروفة باسم مجلة اللغة المصرية ولهُ فيها مؤلفات عديدة في القضاء المصري في عهد الفراعنة . وكانت الحكومات الاجنبية التي اقتنت آثاراً مصرية تنتدبهُ لايضاحها وبيان مكانها من تاريخ مصر . ومن اعظم آثاره فهرست المتحف المصري الفهُ في مدينة برسيليا سنة ١٨٨٩ . وقد جمع شتات ابحاثهِ في مجلدين طبعهما معاً . وصدر باداراتهِ ٣٥ مجلداً من مقالات المشتغلين باللغة المصرية القديمة من الفرنسويين وعلق عليها ما عنَّ لهُ من الآراء

وكانت الحكومة الفرنسوية قد اوفدت الى مصر جماعة من العلماء عرفت باسم البعثة الفرنسوية الاثرية فبدأت عملها سنة ١٨٨٠ واصدرت نحو ٣٠ مجلداً في آثار مصر من فرعونية واسلامية عربية فشاركها صاحب الترجمة في اعمالها واختص بالعهد الفرعوني . ثم غير اسمها الى المعهد الفرنسوي العلمي ومقرهُ الآن في المنيرة حيث مدرسة الحقوق الفرنسوية . وقد عهدت الحكومة المصرية اليهِ في الاشراف على اعمال الحفر والتنقيب عن العاديات بعد ما ثبت لها انهما عملان متلازمان . فعين في كل مديرية مفتشاً للآثار واقام الخفراء للمحافظة على الآثار خوف تلاعب الطامعين بها بعد ان نهبوا منها ما نهبوا ولكنهُ لم يكن يمنع البعثات الاجنبية الاوربية من الحفر على نفقاتها وسنَّ لها قانوناً تقتسم مراراً

وآخر ما اشتغل بهِ في هذا القطر المعابد المصرية التي عمرها ماء النيل بعد بناء خزان اسوان من جزيرة انس الوجود الى النوبة . وسعى جهدهُ قرعها لتقوى على صروف الحدثان . وصرعان ما تولى ادارة المتحف المصري حتى طبع سنة ١٨٨٣ الدليل المشهور . وقد تكرر طبعهُ بزيادة ما اكتشف من الآثار سنة فسنة . وآخر طبعة لهُ كانت سنة ١٩١٤ وفيهِ مقدمة من انفس ما كتب عن انشاء المتحف وسبب تأسيسهِ والادوار التي تقلب عليها حتى بلغ دورهُ الحاضر

واما انفك يكتب في المجلات المصرية ويخطب في الاندية المصرية . والطالما شنف اسماع اعضاء نادي المدارس العليا في القاهرة والجمعية الاثرية في الاسكندرية ونادي رمسيس في القاهرة . وخطبتهُ الاخيرة في نادي رمسيس مشهورة فانها طبعت على حدة وعربت بعد موافقتهِ على تعريبها وطبعها وقد القاها في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وموضعها الروابط التي تربط سكان مصر الحاليين بسكانها القدماء (وقد نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩٠٩)

ومما يدلُّ على شدة حبهِ لمصر وآثارها وغيرتهِ على مصلحتها الحادثة الآتية . وخلاصتها ان المدعو محمد احمد عبد الرسول من اهل القرنة عثر على كنز ثمين لملكة هاتاسو من العائلة الثامنة عشرة في معبد الدير البحري غربي لقصر فسلب منها مع افراد عائلتهِ شيئاً كثيراً وباعوهُ للسياح . وما عتم ان طار صيت هذه الكنوز في اوربا فسمع مسبرو بذلك وقدم مصر واخبر داود باشا مديرقنا يومئذٍ بالامر . فبالغ في ارهابهم وسجنهم شهرين ليعترفوا بخبيئتهم فما ازدادوا الاَّ انكاراً فاطلق سراحهم . ولكن وقع نزاع بين السارقين فارسل محمد المذكور تلغرافاً الى مصلحة الآثار في يوليو سنة ١٨٨١ يخبرها فيهِ بحقيقة الحال ويرشدها الى مكان الكنز . فباشرت مصلحة الآثار الحفر في اطلال المعبد اسبوعين فوجدت نواويس وجثثاً للعائلة الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين بينها جثة رمسيس الكبير من العائلة التاسعة عشرة فنقلت كلها الى المتحف المصري وهي من انفس الآثار

اما العمل الاكبر الذي اقدم عليهِ فهو الفهرس العام للآثار المصرية المحفوظة في متحف القاهرة . ولم يبدأ بهِ الاَّ بعد ترتيب الآثار وتنميرها في مكانها الحالي . وقد عرفت الحكومة قيمة هذا العمل النافع فطبعت هذا الفهرس الوافي على نفقتها وعينت المكافآت للعلماء الاخصائيين من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وندبت لكل قسم من يشتغل بهِ و يصف محتوياتهِ . وقد طبع بعض هذا الفهرس ولا يزال يطبع الى الآن ومما يذكر انهُ لما وفد اعضاء المؤتمر الدولي الثاني للآثار اليونانية على هذا القطر لعقد مؤتمرهم في القاهرة باعتبار ان مصر كانت يونانية من عهد اسكندر المقدوني مؤسس الاسكندرية والبطالسة خلفائهِ كان المترجم اول من رحَّب بهم باسم علماء مصر والمنتخب رئيساً للمؤتمر وخصوصاً القسم الاثري فيهِ

واشترك في المعارض الاوربية والاميركية منظماً للمعروضات المصرية كما فعل ماريت باشا اذ نظم القسم المصري في معرض باريس العام الذي عقد سنة ١٨٦٧ فباهت مصر بآثارها . ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد عهد اسمعيل باشا في طور التكوين ولم تكن آثارها المكشوفة قد بلغت عشر معشار ما بلغتهُ الآن بفضل ما بذل مسبرو عليها من السهر والعناية . فلا بدع اذا اقيم لهُ اثر وسمي احد الشوارع باسمهِ اسوة باهل الفضل على مصر من قومهِ مثل ماريت باشا وكلوت بك وسواهما

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

الشيخ ابراهيم الحوراني

(٤) في الشعر

مما اروي من اوائل شعره بيتان نظمهما ليكتبا تحت رسمه وهما : —

يا معشرَ الاهل ذا رسمٌ يذكركم ... أوفى محبٍّ بنى بالعهد للابدِ
اودعتُ روحي حماكم بعد فرقتكم ... فبشّروا الروحَ عذبي صورةُ الجسدِ

وبيتان آخران بهذا المعنى وهما : —

رسمي يمثّلني لمقلةِ من بهِ ... ولّعي وروحي في حماهُ تُقيمُ
يعقوبُ أشواقٍ اليكم مهجتي ... وانا بدينِ الحبِّ ابرهيمُ

وصاغ ابياتاً في السواك قال فيها : —

شاهدتها وسواكها في ثغرهِ ... بين العقيق فكان دمع الباكي
قالت بكى حسداً فقلتُ يُغيرني ... تقبيل عود بشامةٍ وأراكِ
قالت وهبتُ لك السواك فقلت لا ... ولمالكِ مالي حاجة بسواكِ

ونظم تقريظاً لديوان المولى عثمان الضرير العراقي قال في مطلعهِ : —

نشر العراق على المقيم بشامهِ ... أرَجاً غنيَّ لوردهِ وبشامهِ

ومنهُ

يا ناظمَ الشهبِ الثواقبِ في الدجى ... اتركتَ للشعراء غير ظلامهِ
ما انت عثمانَ الضرير حقيقة ... بل انت ذو النورين في ايامهِ
لكنما اغمضتَ عن هذا الورى ... كي لا ترى ذا الجهل فوق مقامهِ

وقال متغزلاً في قصيدة يمدح بها احد السلاطين : —

اعلمتِ اي جوى واتيتُ ولوعِ ... بين الجوانح ساعة التوديعِ
حملتكِ جاريةُ المحيط كأنها ... برق سرى ليلَ النوى بهجوعي
جرت السفينة بالبخار وثارها ... جمر الحشى والماء لجّ دموعي
ما انسَ لا انس التفاتها وقد ... عبث الفراق بشملنا المجموعِ
ونأت تلوّح للعميد تحيةً ... بديعةٍ بيضٍ كزهر ربيعِ
منديل كفٍّ طيبهُ من جبهةٍ ... تندى بلمعةِ عاشقٍ ممنوعِ

يعلو ويخفق في الهواء كأنهُ علمٌ على حصنٍ اشمَّ منيعِ
ما كان اشبههُ بهجعةِ صيدٍ لولا سلامتهُ من التقطيعِ

ومنها في المدح : —

ظلُّ الاله على الرعية سيفهُ قطع الذئاب فصان كلَّ قطيعِ
محمولُ امرِ المجد موضوعُ العلى روحي فدى المحمولِ والموضوعِ

والقى في احد المحافل خطبة صدرها بقصيدة مطلعها : —

قدم الزمانُ وصبوتي تتجددُ فكأنني في كلِّ عصرٍ أولدُ

ومنها

قالت مشيبك أسودٌ في ناظري قلت الحقيقة ان لحظكِ أسودُ

وخطب في محفل آخر مفتتحًا خطبتهُ بقصيدة حسب عادتهِ قال في مطلعها : —

يا مَيُّ لستُ أخا الصبابةِ فاسألي عمَّن يهيم بغير هذا المنزلِ

ومنها

ذهب الشبابُ على جناح نعامةٍ واتى المشيبُ على اغرَّ محجَّلِ
قالت مشيبك عند ارباب الحجى طب اقوى بظباء دارة جلجلِ
تحت المشيب جواهرٌ لو قلَّدوا جيدي بها مشت النجوم بمحفلي
فاجبتها ولقد رقصت لقولها رقصَ القضون على غناء البلبلِ
لم يبقَ من تلك الجواهر غير ما خبأتهُ لرجالِ هذا المحفلِ

ونظم قصيدة عنوانها « العالم في الشرق » وهي من غرر قصائدهِ ومعجز شعرهِ ومطلعها : —

ذو العلم بين الطرس والمرقمِ كالثَّيتِ بين العَضْبِ واللهذمِ
كلاهما يبغي علاه ولا يناله الاَّ بسفك الدمِ
والاوَّل الاولى بغنم لما في سعيهِ من شامل المغنمِ
فكم جرى ذو العلم في مجهلٍ حتى جرى ذو الجهل في معلمِ
وكم رعى سفي مهمهٍ كوكبًا حتى اهتدى السارون بالانجمِ
يجتاب ارجاء العلى رغبةً في كشف ما في الاطلس المظلمِ
طورًا تراهُ سفي جوار السهى وتارةً في جبهة المرزمِ
يرسم من كيوانَ خطًّا الى يوحى بلا نقسٍ ولا مرسمِ

ومنها

يا ويل من يعلم في بلدةٍ فيها كثير الوفر لم يعلم
يسقي الروى الظمأى ولكنهُ اظمأ من ملٍ ومن غيلم
يكسو عراة الحيّ من نسجهِ لكنهُ اعرى من المبرم

وقال في ختامها

ذي حالة العالم في موطنٍ يكوى بهِ ذو الفضل باليسم
يركبهُ الجاهل من حلمهِ والمنطي صنوٌ لذي المحزم
لو انصف الدهر امتطى كلُّ ذي علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلم

وقال في زوال الدنيا وقصر الحياة : —

يا غافلين تنبهوا ازف السرى وحدث مطيّ رحيلها الركبانُ
وحيّا الى دار البقاء فليس في دار الفناء لعاقل او طانُ
غبراؤها سوق الوغى وسماؤها فلك النحوس نجومهُ الاحزانُ
لا يسلم الجبار في حوماتها والمشتري في افقها كيوانُ
حكت العبادُ بها الهشيم وأصليت نار المصائب فالحياةُ دخانُ

وقال مقرظاً المقتطف في سنتهِ السادسة : —

هذي ثمار العلم ذُقها تعترف من لم يذق تمر المعارف ما عرف
قطفت لقذفها دون اتعاب اجتنى فجميع اثمار النهى في المقتطف

ونظم موشحاً دينياً مطلعهُ : —

لا يزيلُ الحزنَ او يروي الظما غيرُ صهباء الحبيب المؤنس
ربّ جود طهرت منهُ الدما كلُّ مختارٍ لهُ من دنس

دور

سيد الاكوان ان العبد لكْ بالذي ترضى لهُ كل الرضى
لا اقدّيس شهيدٍ او ملك قبلهُ بل لذي عنهُ قضى
ذاك شمس البرّ في اعلى فلكْ لاح فيهِ كلُّ مفديٍّ مضى
اشرق الابرار فيهِ انجما نيراتٍ في سماء الاطلس
رغمت بالشكر حتى رغما كلُّ شادٍ بالمقام الاقدس

وهو طويل قال في ختامه : —

ايها الهادي غوى قلبي ولم يسأل ارشد نعمة السَّنَنْ
طالما حادت به هوج الظلم عن سبيل القصد لم يهدَ السَّنَنْ
فاتخذهُ اليوم من بعض الخدم واثقاً بالنشر لا يخشى الكفنْ
واكسهُ التبريز ثوباً مُثِّلَتْ بالسنى يزري ببرد السندسِ
واختم التقديس حتى يختمًا بالنبي قبل ختم المرسلِ

وقال في وجوب التيمُّن وترك التشاؤم : —

ترسَّم الخيرَ في كلِّ الامور ولو شاهدتَ نارَ الرزايا في بوارقها
واستجد الصبرَ في حرب الخطوب وخذ رجاءك النصرَ سيفاً في مفارقها
ولا يسوءك غروب الشمس في غسقٍ فانها كلَّ صبحٍ في مشارقها

وقال بعنوان « صوت الحق » : —

سرْ في سبيل الحقِّ لا تخشَ الردى ابداً ولو زأرتْ قساورةُ الرَّدى
واشهد بانَّ اللهَ ربَّك قادرٌ يحيي الرفاتَ غداً ولو طال المدى
ما كانت الاكوانُ من قدم ولم يخلقْ حكيم الكون دنيانا سدى
فغداً يحاسب كلَّ نفسٍ بالذي فعلت ويرفل بالسنى اهلُ الهدى

وقال في ختام تأبينه للعلامة المرحوم بطرس البستاني الشهير : —

يا غرسَ فضلٍ لم يزلْ بستانُهُ تجني بهِ ثمرَ العلوم الانفسُ
غادرتَ اثمارَ الجنانِ بارضنا وغدوتَ في فردوس ربك تغرّسُ
وملكتَ مفتاحَ السماء على الثرى فدخلتَ ابواب العلى يا بطرسُ

ثم شفع التأبين برثاة عصماء مطلعها : —

وطن الصفا نضبت عيون جنانهِ غبرى من الاحزان ذوب جنانهِ
وذوت حدائقهُ فناحت ورقهُ اسفاً فلبَّتها بلابلُ بانهِ
عبثت بهِ هوجُ الردى فاستأصلت غرساً فنونَ العصر من افنانهِ
لولا فروعُ الفضلِ في جنّاتهِ نضدتْ ثمارُ العلمِ من بستانهِ

وفي سنة ١٨٨٤ كتب في النشرة الاسبوعية مقالةً وجيزةً موضوعها المغفور لهُ الخديوي محمد توفيق باشا فزانها برسمهِ الكريم وختمها بقصيدة في مدحهِ مطلعها : —

ما لاح من صوب العُذَيب بريقهُ الاَّ ودمعُ الصبِّ سال عقيقهُ

ربع اليه يرى الركابَ يقودهُ شوقٌ يبرّح والغرامُ يسوقهُ
اجرى به عبراتِ قيسٍ عندما سُدَّت الى ليلى عليهِ طريقهُ
اذ بات يلقى من نوى سكانهِ ما مات في الاسكندرية بوقهُ
ايامَ دلاَّلُ النوازلِ والردى راجت بضاعتهُ وقامت سوقهُ
فرأيت قطرَ الانس يرهب وحشةً من انسِ يبينَ قبيلهُ وفريقهُ
بغتِ الاعادي حفنةً فوقاهُ مَن رفع السماء وصانهُ «توفيقهُ»

وفي سنة ١٨٩٦ فجع بابنهِ المرحوم نسيب وهو في السابعة عشرة من عمرهِ فنظم فيهِ ثلث مراثٍ قال في مطلع الاولى : —

ما للمرابع اصبحت اطلالا وتحوَّل الروض الاريضُ رمالا
تجري الرياح فلا تصادف في انوى وادي الحدائق يانعاً او ضالا
وغدا المرنّم في المغاني نائحاً يجد الهجيرَ ولا يُصيبُ ظلالا
اترى عدت باليفهِ عيس النوى سحراً فحوَّل عدوُها الاحوالا

ومنها مشيراً الى والدة المرثي

كانت خلالاً لاشتمالك بالضنى فغدت وقد زلت شعوب خيالا
وقفتْ على ذاك السرير كانما قَلَقُ الشراعِ يجاذبُ الادقالا

وقال في مطلع الثانية : —

صيَّرتُ دمعي شرابي والامى قوتا حتى جرى من جفوني الدرُّ ياقوتا
وواصلتني عذارى لوعتي بنوى مَن بات حبل اقترابي منهُ مبتوتا
وسامرتني وأمُّ النجم رافدةٌ بناتُ نعشٍ وبات النجم مسبوتا
كأنهنَّ بواكٍ فوقهُ قمراً يحكي نسيباً فأنساها المواتيتا

وقال في الثالثة مخاطباً والدة فقيدهِ : —

قلب الغريب على مصاب نسيبكِ رهن البليَّةِ مثل قلب قريبكِ
اشبهت اخيلةَ الفقيد من الضنى بحضوركِ الموهومُ مثل مغيبكِ
ما وقَّعتْ ورقٌ على عيدانها لحنَ النوى الاَّ بصوتِ نحيبكِ
تبكين يوسفكِ العشيةَ والضحى والحزنُ يلهب في حشى يعقوبكِ

وتوفي حينئذٍ المرحوم فؤاد نجل خليل افندي سركيس فقال يرثيهِ ولم يخرج عن رثاء والدهِ لكثرة العلاقات والمناسبات بينهما : —

لا يا ساجعات الورق نوحي على الغصن المغنّى في الضريح
خذي بدل الغضا والبان سروًا سقتهُ كلُّ دامية الجروح
هنالك نادبٌ غصّاً كسيراً يعلك النواح على الصحيح
هنالك موجعٌ يبكي «فؤاداً» وذو الم يتوح «نسيب» روح
خليلي محنةٌ باتا وكلٌّ بكى نجلاً كاحشاء الذبيح

ومنها

حملتما يا شريك الحزن وقراً به الحيارى كالنضو الطليح
فكم عزّيتني وأسالك نامٍ كسيل دمي من الجفن القريح
وكم عزّيتكم والجرح دامٍ وذا عطف الجريح على الجريح

ونظم في المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الشهير مرثاة مطلعها : —

بني الحزن من تنعون فاز بقربهِ بديع البرايا ناظراً وجه ربهِ
فما مات عبد الباسط البرّ بل مضى الى جنة اقطابها بعضُ صحبهِ
وأطعم فيها ما أشتهى من اطايبٍ وأورد تسنيماً فلذّ بشربهِ

وفي سنة ١٩٠٦ توفي المأسوف عليهِ المرحوم شاهين شقير فرثاهُ وعزّى اخاهُ سعيد باشا شقير بقصيدة مطلعها : —

من اعظم الأرزاء عمرٌ مديدٌ ما زدتَ عيشاً فالبلايا تزيدْ
هذا اخباريه بعد ما مرّ بي ما عشرهُ شيّب رأسَ الوليدْ
تنغيص دنيانا قديمٌ فما على اديم الارض شيءٌ جديدْ
مدرسة الدهر التي هذبت ايوب شيدت منذ عهدٍ بعيدْ

ومنها

ما كوننا يا ليتنا لم نكن انفاسنا نارٌ ونحن الوقيدْ
كونٌ شقيٌّ كلُّ احداثهِ نوازلٌ لم ينجُ منها «سعيدْ»
ذو الجاه رب الفضل مولى النعى والعلم والآداب بيت القصيدْ
مهمُ الردى أصمى على غرةٍ شاهينهُ نسرَ النجوم المجيدْ
ومنها يا ايها الشهم الذي رأيهُ في معرك الارزاء مهمٌ سديدْ
ما رمت ارشاداً بما قلتهُ بل رمتُ ذكرى لتخبير الرشيدْ
ذكّرتكم حرصاً على مهجةٍ إحسانها عقدٌ على كل جيدْ

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على منزلته الرفيعة بين الشعراء والمنشئين وارباب الحجى وما لهُ من الفضل على تلاميذهِ ومريديهِ . واختم مقالتي هذه بالقصيدة التي نظمتها رثاء لهُ وإكباراً لمصاب الشرق فيهِ رحمهُ الله عداد ما نفع وافاد وعزّى عن فقدهِ كل ناطق بالضاد . قلت بعنوان « النفس الحزينة »

حشاك وناراً في فؤادي قادحه ودمعي وشأني فالرزيئة فادحه
ولا ترجُ لي صبراً ففي حزينة وليست الى غير التفجع جانحه
تروح وتغدو والرزايا تسابق الـ رزايا اليها غاديات ورائحه
اقامت على قلبي الغموم مشيخة بكلكلها طول المدى غير بارحه
احاول بالسلوى التئاماً لجرحي الـ تدمي فتدميهِ الحوادث جارحه
ففي كل يوم لي الى الحزن والبكا دواعٍ واسبابٌ جفوني قارحه
وفي كلها ابكي فتروي الطيور عن شجوني وتغدو من حزني شارحه

***

اكتم ما بي والسواجم لاتني تنمّ على رغمي بسري بائحه
تسحّ وما يتزيد انهمارها دواهٍ شداد للخلائق جائحه
دهتهم واصداء الديار امامها زواقٍ وغربان المنية صائحه
صلتهم لظى حرب ضروس دماءهم اطلّت فثجّت في الصحاصح سائحه
دماء الملايين التي طمّ سيلها فاضحت بهِ الاجداد كالغور طافحه
دماء احلتها زبانية الشقا فكانت لها في هذه الحرب سافحه
بحرب محيا الشام غشّت خطوبها لهُ بسموم الضيم والضنك لافحه

***

بلاد كجنات النعيم وطيبها غواليهِ في اقصى البسيطة ناقحه
ولكن هذي الحرب ردّت نعيمها جحيماً والقاها البلاء مطارحه
وعاثت بها ايدي الرزايا لسعدها بصمصام نحس مرهف الحدّ ذابحه
وشدّت عليها غفلة الحصر فاغتدت تقلّب تحت البهظ والخسف رازحه
وسدّت على الاهلين حتى منافذ الـ هواء اليهم تاردى الباب فاتحه
فان لم يموتوا فيهِ جوعاً فمن جرى تباريح كرب ساخنات وبارحه
وكم من عزيز بينهم قد قضى وما سمعنا عليهِ بيننا صوت نائحه

يشق عليه الاهل ثم جيوبهم ونحن هنا نغشى الحنا وسارحه

∴

كذا غاب ابرهيم عنا ونحن في توقع انوار بلقياهُ لائحه
تناقلت الانواء همساً نعيهُ وظلت تورّي عنهُ غير مصارحه
الى ان تجلّى الامر فيه واصبحت حقيقته لا تقبل الشكّ واضحه
اجل دار ابرهيم شيخ العلوم والـ معارف شطت عن محييه نازحه
مضى تاركاً في الشرق آثار فضله نوابغها تبقى مدى الدهر فائحه
رشق على قلب اليراع فراقهُ فقلّم شقّيه ودقّ جوانحه
وفقدانهُ مال القريض وآلم الـ حصاب به انطابه وجحاجحه
وهل بعد ابرهيم للناس مطمع باجمعهم في روضة الشعر صادحه
ومن بعدهُ ان انشد الشعر شنفت فصائدهُ الاسماع بالدرّ ناطحه
وهل بعدهُ في سامر الحي تشتهي مساجلة زند القرائح قادحه
ومن بعده للكيح والحلّ ان عصت علينا عويصاتُ المسائل جامحه
وهل بعدهُ من صاغ لامارة الـ بيان فيحميه ويرعى مصالحه
وهل تسمح الايام للناس يا ترى بثانٍ لهُ هيهات ليست بسامحه

∴

عليك أبا سلمى العزيز حشاشتي تفيض جوى والعين بالدم ناضحه
فانظر فتلقى ابيك وابتك الالى نيلك فيهم كان اكبر قادحه
فجلاك في مصر يذوبان لوعةً و« فجلاك » في بيروت تخب نائحه
فقدناك فقد البدر صار بتمّه تعدّتهُ آثار الهدى عنهُ ماحه
وليس عجيباً ان يجرّعنا الاسى عليك كؤوساً بالشجى طافحه
فقد كنت ريحان النفوس وطيبها وكانت ترى جذلانة بك فارحه
ولما افترقنا منذ عامين كان بال تلاقي تأسّينا فتراح صالحه
وما كان في حسباننا ان فرصة ال لقا واجتماع الشمل ليست بسانحه
فمهدك الرحمن بالعفو والرضى وعمدك منهُ رحمة عنك صالحه
ختمت بتقواهُ الحياة هنا فهل حياة هناك أنعم بأيمن فاتحه

اسعد داغر

المعرّي وفلسفتهُ

(١) مذهب النشوء

ان كان مذهب دارون حديثاً فتنازع البقاء قديم شعر بهِ الناس منذ وجدوا وصرح بهِ حكماؤهم وشعراؤهم في الامثال والاشعار كلٌّ على طريقتهِ ومنوالهِ . فمنهم من وصفهُ ولم يفطن اليهِ ومنهم من فطن اليهِ ولم يعمهُ ومنهم من شعر بهِ شعور المتألم منهُ المتكر عليهِ . ولعلَّ اشد شعراء الامم نقمة على تنازع البقاء وذكراً لهُ في نظمهِ ونثرهِ ابو العلاء المعري . ولا عجب في ذلك فان المعري نزل الى معترك هذه الحياة العصيب عزلاً من الاسلحة المنجحة فيهِ . نزل اليهِ يتيماً فقيراً سوداوي المزاج مفرطاً في الحس وكان ارفع خلقاً من ان يُسف الى منافسة امثالهِ الشعراء على ما يتكسبون بهِ . وكان رحيماً رحمة كادت تكون مرضاً وناهيك بمن يشفق على البرغوث أن يُقتل وعلى النحل ان يشتار عسلهُ . وليس بواحدة من هذه الخلال يحمد المرء غب تنازع البقاء أو يكون ممن يفلحون عن وطأتهِ و ينظرون اليهِ بعين الرضى والارتياح وهو ما هو عنفاً وقسوة واثرة وخداعاً وانتهاكاً في معظم الاحيان لحرمات الاخلاق الفاضلة والمبادئ الرفيعة . فلذلك شعر بهِ المعري شعور المقاتل الاعزل بالهزيمة واوحى الالم والاشفاق الى وجدانهِ قبل تسعة قرون ما اوحاهُ الاطلاع والاستقصاء والتنقيب الى فكر دارون في الزمن الاخير

ولو كانت اشارة المعري الى تنازع البقاء كلة بثت لحظة ابتسمها الالم قطَّرها القلم لما كان في هذه الاشارة ما يجيز لنا قرن اسمهِ بتنازع البقاء ولكان الأحرى بتلك الاشارة ان تُردد في معرض الاستشهاد كغيرها من الخواطر الشعرية . ولكن اشارات المعري في هذا المعنى كانت اشبه بالتدقيق العلمي منها باللمحة الشعرية واقرب الى التأمل الدائم المتسلسل منها الى النظرة العارضة التي لا تبدأ في الجد حتى تنتهي و ينطوي اثرها . فانك لا تقلب صفحة من الزوميات او غيرها الا سمعت منها انة او انات يتغير موضوعها ومبناها ولا يختلف مضمونها ومغزاها وكلها نعي وتبكيت للعالمين على ظلمهم وتنافرهم ومكر بعضهم ببعض . وكأن الآلام المبرحة التي يعرفها المخذول في كل حرب ويجهلها الظافر قد جسمت هذه الحائلة لهُ وغلطتها فاحاط بدقائقها البعيدة ولم تخفَ عنهُ خافية من وجوهها المختلفة بين انواع المخلوقات لحظ التنازع بين الناس على حقيقتهِ وهو اقرب الاشياء الى اذهان الناس لو التفتوا اليهِ

ولكنك على كثرة الشعراء لا تجد مثلاً في شعر احد كما هو مثل في شعر المعري . فمن قوله في ذلك : —

أما تكون بني الدنيا عقولهمُ تصد عن التنافس والتعادي
اذاة من صديق او عدوٍّ فبؤساً للاصادق والاعادي

واوضح منهُ في هذا المعنى قولهُ : —

تنازع في الدنيا سواك وما لهُ ولا لك شيءٌ في الحقيقة فيها
ولم تحظَ في ذاك النزاع بطائل فتنقعها مثل مختلفيها

واوضح من قوليهِ هذين قولهُ : —

تناهيت العيشَ النفوس بغرة فان كنت تستطيع الثهاب فناهِ

وزاد على ذلك فبين ضرورة هذا الخلاف فقال : —

لولا التخالف لم تركض لغارتها خيل ولم تُثن ارماح وأسيافُ

واحسبهُ استطرد من النظر في اطوار الانسان الى النظر في اطوار المخلوقات كافة فاجمل الحكم عليها في هذا البيت الجامع : —

ولا يُرى حيوانٌ لا يكون لهُ فرق البسيطة اعداءٌ وحسادُ

وفصّل هذا القانون العام في عدة مواضع من لزومياتهِ فقال : —

يهاجر غابهُ الضرغام كيما ينازع ظبيَ رمل في كناسِ
سجايا كلها غدر وخبث توارثها اناسٌ عن اناسِ

وقال : —

تدري الحمامة حين تهتف بالضحى ان الاجادل لا تطيل جدالها

وقال وهو لذاع الى توارث الخوف بين الحيوانات : —

تسع آثار الرياض حمامة وتجيبها فيها تزاولهُ النقرُ
تهم بنهض ثم تثني برغبة فما شعرت حتى اتيح لها صقرُ
وقد عرفتها امها امس شرهُ وان الردى يقرو المكان الذي تقرو

وهو لا يفرق بين الاقوياء والضعفاء في هذا النزاع بل يشملهم بهِ جميعاً فيقول : —

ظلم الحمامة في الدنيا وان حسبت في الصاحبات كظلم العقر والبازي

ومن كلامهِ ما يصح ان يعد تلميحاً الى غاية هذا النزاع وهي بقاء الاصلح وانتفاع الغالب برجحانهِ على المغلوب كما يؤخذ من قولهِ : —

ولو علمتم بداء الذئب من سغب اذن لسامحتم بالشاة للذيب

ومثلهُ قولهُ : —

ولولا حاجة بالذئب تدعو لصيد الوحش ما اقتنص الغزالُ

ومثلهُ ايضاً : —

وحظ الظباء بما نالها تولد منهُ رضى الحبائل

واحياناً يتجاوز القول بتنازع البقاء وبقاء الاصلح الى تبرير هذا الرأي الذي قررهُ الشوئيون حديثاً وهو ان لكل حي على الارض سلاحاً خاصاً يتقي بهِ عدوهُ ويكدح بهِ لنفسهِ . وليس أصرح في هذا الرأي من هذا البيت : —

وما جُعلت لاسود العرين اظافيرُ الاّ ابتغاء الظفرْ

واقل منهُ صراحة في ذلك البيتان : —

اذا كُف صلُّ افعوان فما لهُ سوى بيتهِ يقتات ما عمر التربا

ولو ذهبت عينا هزبر مساور لما راع ضأناً في المراتع او سربا

فاذا راجعت الابيات المتقدمة مع كثير من امثالها التي اكتظت بها دواوين المعري امكنك ان تجزم بان الرجل سبق أسبق المتأخرين الى ادراك تنازع البقاء وما يلابسهُ من الافكار . ادركهُ متكرراً جامعاً لا متفرقاً طارئاً . فاذا قيل ان داروين واضع المذهب في عالم العلم ساغ لنا ان نقول : والمعري واضعهُ في عالم الادب والشعر

و يظهر ان فرط الشعور بتنازع البقاء لا ينفك عن فرط الشعور بالمحافظة على الذات وهذا امر طبيعي معقول اذ لا يعرف قيمة الشيء كمن يعرف مقدار التزاحم عليهِ . ولذا كثر كلام المعري في حب الحياة والافتتان بالدنيا كما كثر كلامهُ في التنافس والتباغض فهو يرددهُ في قصائدهِ ولا يبرئ منهُ نفسهُ و يتهم من يظهر خلاف ذلك بالكذب والمراء كما قال في لزومياتهِ : —

شقينا بدنيانا على طول ودها فدونك مارسها حياتك واشقها

ولا تظهرنَّ الزهد فيها فكلنا شهيد بان القلب يضمر عشقها

وكما قال ايضاً

ومن العجائب ان كلاً راغبٌ في ام دفر وهو من عيّابها

الى كثير غير ذلك . وهو لا يكتفي هنا ايضاً بالحكم على الانسان فحسبُ بل يشمل بحكمهِ الاحياء جميعاً فيقول : —

أرى حيوان الارض يرهب حتفهُ ويفزعهُ رعدٌ ويظمعهُ يرقُ

ويقول كذلك : —

تسريح كفك برغوثًا ظفرتَ بهِ أبرُّ من درهم تعطيهِ محتاجا

كلاهما يتوقى والحياة لهُ حبيبة ويروم العيش مهتاجا

وتعميم المعري الحكم على الانسان والحيوان معًا كما نسب الى الانسان خلقًا من الاخلاق طريقة ذهنية عجيبة لا نستطيع تأويلها الاَّ اذا قلنا بان الرجل كان يعتقد ان الانسان والحيوان من عنصر واحد وانهُ كان في صميم نفسهِ نشوئيًّا بالغريزة وان لم يعلم بذلك فكرهُ علمًا يصح الاستدلال بهِ

(٢) مذهب التشاؤم

على ان هذا الارتباط بين الشعور بتنازع البقاء والشعور بحب البقاء يفسر لنا سر فلسفة المغالين في التشاؤم المبالغين في النقمة على الوجود فليسوا هم باشد الناس كرهًا للحياة كما قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ولكنهم اشد الناس حبًّا لها وضنابها . وهم لا يسبُّون الحياة سبَّ المحتقر المزدري بل سب الرجل المرأة التي يتولَّه بها و يعبدها ثم لا يخلى بطائل منها ولا يجد عندها صدى غرامهِ بها

وقد انتهى بالمعري النظر في هذا المعترك الضروس كما انتهى بعدهُ بايام المتشائمين ارثر شوبنهور فكلاهما يقول : — ما دامت الدنيا كفاحًا لا راحة فيها وما دام الغالب اليوم يغلب غدًا والموت يهلك الغالب والمغلوب على السواء فالحياة وقر فادح والعيش عبث والعدم افضل من الوجود » . الى آخر ما اتفق عليهِ مزاجهما من ايثار العزلة والاستئناس بالحيوان والقول بارادة الحياة مع التنفير منها واحتقار النساء وتحريم الزواج . ومن هنا يظهر خطأ الاثنين بل خطأ المتشائمين جميعًا في التعقيب على تنازع البقاء . فلا شك انهُ لو وقعت هذه الخواطر لاناس ذوي مزاج مختلف عن مزاجهم لما استخلصوا منها هذه النتيجة ولرأوا ان الاولى بهم ان يقولوا : ما دامت الدنيا غلابًا فكن انت الغالب وما دام الموت قضاء لا مفرَّ منهُ فلا يهمنك امرهُ وليهمنك ان تنال من الحياة اقصى ما يُنال فلأن يدركك الموت سيدًا خيرٌ من ان يدركك مسودًا » . وليس العجيب ان يتفاوت حكم الناس في المسألة الواحدة من النقيض الى النقيض ولكن العجيب ان نعلم ما للدنيا من الوان لاعداد لها و بما للناس من حالات واميال لا يحصرها الفكر ثم نطالبهم بالاتفاق على الكبائر والصغائر او نقدح مثلاً في فلسفة المتشائمين لانهم يرون الحياة من جانبها المظلم ونحن لا نراها الاَّ من الجانب الابيض المنير . ومن الخطا

ان يرفض النقّاد فلسفة التشاؤم جملة لبعد اصحابها عن حياة الأعمال الدنيوية ولا يذكروا ان هذه الدنيا غاصة بالنقائص وان هناك جبلات اسرع الى استكناه هذه النقائص من سواها وليست هي جبلات اهل الاعمال لان هؤلاء مصروفون باعمالهم عن مشاهدة ما يقع حولهم — ومن اين للقاتل المنهمك في المعركة ان يحيط بما يجري في غضونها؟

واذا قلنا اتفق مزاج المعري وشوبنهور ولم نقل اتفق عقلها لاننا نعتقد ان المتشائمين كلهم من مزاج واحد وهذا علة اتفاقهم في الاقيسة التي يذهب فيها الناس مذاهب شتى وادراكهم المسائل على وتيرة واحدة وان كانت مما تتشعب فيه الافكار فقد اتفق المعري وشوبنهور على كل رأي اشتركا في الالمام به ولو لم يكن من اصول فلسفة التشاؤم . خذ مثلاً ادراكها للزمان فان المعري يتصوره كأنه نفس طائر في اثر نفس وكأنه اجزاء متفرقة يجمعها كلٌّ واحد فيراقبهُ مراقبة من لا يسهو عنهُ ويتبع كل نفس بزفرة المشيع الآسف ومن هذا النحو قولهُ : —

نفس بعد مثلهِ يتقضى فتر الدهور والاحيانُ

وقولهُ

لهفي على ليلة ويوم تألفت منهما الشهورُ

وقولهُ

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبتُ

ويلحق بهِ قولهُ

قدم الزمان وعمرهُ ان قستهُ فلديهِ اعمار الدهور قصارُ

وكذلك يقول شوبنهور مع الفرق بين الاسلوبين الشعري والفلسفي : « الزمن هو ذلك الذي يفتأ يجعل الاشياء لا شيء في ايدينا فتفقد بذلك قيمتها » ويقول « نحن نسلب يوماً كل مغرب شمس » ويقول : « ان وجودنا مستقرعى الحاضر الذي ما ينى ابداً متسرباً طائراً فلا بدَّ لهُ اي لوجودنا من ان يتلبس بالحركة الدائبة الدائمة بلا امل في الوصول الى الراحة التي ننشدها . مثلنا في ذلك مثل المتحدر من جبل عالٍ فهو يسقط اذا حاول الوقوف »

ولا يشعر بالزمن هذا الشعور الا الذي يحصي كل لحظة تمر بهِ ساءة والما كالسائر المتعب الذي يلتفت بعد كل خطوة يخطوها الى المسافة التي خلفها وراءهُ والمسافة التي لا تزال امامهُ . ولا تخطر فكرة استقرار الوجود على الزمن الا لمن يرى ان الحياة إنما هي الا زمن بين لا تكوين يستتم قواهُ وجزءاً من الطبيعة يأخذ منها وتأخذ منهُ . ولسنا نقول ان الزمن

ثابت والمتشائمون يتصورونهُ غير ذلك وانما نقول ان تصورهم هذا خاص بمزاجهم . فكم من الناس حتى الفلاسفة والمفكرين والعلماء لا يشعرون بالوقت منعزلاً عن الحياة لانهم يقيسون الحياة بحركاتهم التي هم مستغرقون فيها لا بحركات الافلاك والسيارات . وكم من الناس في قرار وجدانهم لا يتصورون للوقت وجوداً فضلاً عن تصورهم ان الوجود مستقر عليهِ

وهما اي المعري وشوبنهور سيان في الرأفة بالحيوان واستطلاع اطوارهِ وعاداتهِ . وقد رأيت كيف كان المعري يستعرض اخلاق الانسان في طبائع الحيوان فانظر ماذا يقول شوبنهور . يقول : « اي لذة تداخلنا عند ما نرى حيواناً مطلقاً يدير شؤونهُ بنفسهِ غير معترض ولا مسوق . تراهُ إما يتلمس طعامهُ او يتعهد صغارهُ او يخالط الحيوانات من جنسهِ الى نحو ذلك . ان هذا هو الذي ينبغي ان يكون وهو الذي لا يمكن ان يكون سواهُ . فان كان ذلك الحيوان طائراً امتعت نفسي بالنظر اليهِ برهة من الزمن . لا بل فليكن فأراً مائياً او ضفدعاً فذلك لا ينقص من سروري بالنظر اليهِ . ويعظم سروري بهِ ان كان قنفذاً او عظاءة او إيلاً او غزالاً . وما كان التأمل في احوال الحيوانات ليسرنا لولا اننا نأنس فيها حياتنا مصغرة بسيطة »

ولم يعدُ شوبنهور الصواب في هذا التعليل الاَّ اننا لا نجد الناس كلهم يسرون بالتأمل في احوال الحيوانات كما يسر بذلك المتشائمون . ولا نظن هذا السرور آتياً الاَّ من فرط احساسهم بالحياة فهم يعطفون على كل حي ويبحثون عن مظاهر الحياة في جميع طبقاتها . وسيطول بنا الشرح لو تمادينا في المقارنة بين المعري وشوبنهور على هذا النمط فانما المقارنة بينهما بمثابة تحليل لمزاج واحد . ولكن لعل اعجب ما اتفقا عليهِ وفاؤهما لوالديهما وفاء لم نعهدهُ في الفلاسفة الذين يغتبطون بالحياة ولا يشكون غصصها . فشوبنهور اهدى كتابهُ (الدنيا كارادة وفكرة) الى والدهِ واثنى عليهِ اطيب الثناء في كلة الاهداء . والمعري رثى اباهُ ابلغ رثاء وهو القائل

على الولد يجني والد ولو انهم ملوك على امصارهم خطباء

فما اعجب هذا الوفاء من بعد الولادة جناية من الآباء على الابناء !

عباس محمود العقاد

الانكليز وسياسة التوفير

قدّر ما انفقتهُ انكلترا على الحرب في سنتها الاولى بمبلغ ١٠٠ مليون جنيه . وانقدر ثروة الامة الانكليزية في انكلترا بمبلغ ١٦ الف مليون جنيه وفي خارجها بمبلغ ٤ آلاف مليون فالمجموع ٢٠ الف مليون جنيه . ولا يخفى ان دخل الحكومة الانكليزية في السنة لا يتجاوز ٢٠٠ مليون جنيه وخرجها اقل من ذلك قليلاً فالوفر لا يكاد يذكر في جنب النفقات غير الاعتيادية التي جرتها الحرب فلا بدَّ اذاً من ضرب الضرائب او عقد القروض او الامرين معاً . ومن رأي بعض العارفين انهُ سواء سدَّت النفقات بالضرائب او بالقروض فان ذلك لا يؤثر في مقدار ما يجب على الامة توفيرهُ لايفاء ديونها . والفرق بين الطريقتين ان الاقتراض يحمل الاجيال القادمة حملاً لا تحملهم ايهُ الضرائب

ومعلوم ان انكلترا تستمد من الولايات المتحدة الاميركية معظم ما تحتاج اليهِ من السلاح والذخيرة في اخارج وقد حسب بعضهم انها تستطيع الحصول من اميركا على مبلغ ٣٥٠ مليون جنيه لدفع ثمن السلاح والذخيرة وذلك ببيع بعض ما لها من الاسهم والسندات في الاسواق الاميركية وبعقد القروض فيها ايضاً فيبقى عليها ٨٥٠ مليون جنيه ثمن سلاح وذخيرة وغيرهما مما يلزم الجيش . ودخل الامة الانكليزية في السنين العادية ٢٢٠٠ مليون جنيه توفر منها ٥٣٠ مليوناً . وليس معنى ذلك انها تخزنها في البنوك كما يفعل الافراد بل تنفقها على بناء معامل ومصانع ومد سكك حديد واستنباط مناجم وبناء مبانٍ وحرث مزارع وعمل غيرها من الاعمال المنتجة ذات الدخل . اما في هذه السنين التي الحرب فلا تكاد تفعل شيئاً من ذلك اي انها تنفق ذلك الوفر على اخراج مواد حربية للاستهلاك لا للانتاج . ولكنهُ لا يكفيها بل لا بدَّ لها ايضاً من ٥٠٠ مليون اخرى لسد نفقاتها الحربية السنوية . ومعنى ذلك أن الامة مضطرة ان تضاعف هذه السنين ما توفرهُ في السنين العادية لتستطيع ايفاء ديونها . وهذا يقتضي احداث ثورة في طريقة عيشتها

والذي يقابل بين عقد القروض وفرض الضرائب يجد ان الطريقة الاولى اسهل واسرع ولكنها اكثر نفقة واضعف مفعولاً . وقد اعتمدت الحكومة الانكليزية حتى الآن عليها اذ لم تبلغ زيادة الضرائب التي قررتها في السنة الاولى من الحرب سوى ٦٣ مليون جنيه . ويرى الخبيرون أن معظم الضرر الناشئ من عقد القروض ليس تحميل الاجيال

المقبلة عبء نفقات الحرب الحاضرة بين تأجيل اقتصاد الافراد الذي يعدّ لباب المالية الصحيحة . والفرق الاكبر بين طريقة قروض الحرب الاختيارية وضرائب الحرب الالزامية ان الاولى تأتي بالمال اللازم من غير ان توجب على الامة الاقتصاد المرغوم اما الثانية فتجبر الناس على الاقتصاد . ولما كانت زيادة المسئلة كلّها مضاعفة ما توفره الامة بتقليل ما تنفق على الكماليات وكان عقد القروض لا يؤدي الى هذه الغاية لم يرَ اهل الرأي مندوحة من زيادة الضرائب . نعم ان معظم الاواسط اخذوا في الاقتصاد والتوفير مما ينفقون في منازلهم وعلى اشخاصهم واعيادهم وولائمهم ولكنهم معها بالغوا في التوفير من هذا الباب لم يزد ما يوفرونهُ على ١٠ في المئة وهي لا تذكر في جنب الدين الهائل . ومعظم الذين شرعوا في التوفير يعتقدون انهم يعملون اكثر مما يجب عليهم ان يعملوا وان ليس ثمة ضرورة وطنية تقضي بذلك الاقتصاد . ومع كثرة ما خطب الخطباء وكتب الكتّاب من الوزراء والزعماء المسئولين في وجوب الاقتصاد ومدحه وذم الاسراف لم يحتفل الجمهور تنفقاته الى الحدّ الذي تقتضيهِ الحالة المالية لا لانهُ يأبى التضحية في سبيل الخدمة الوطنية بل لانهُ لا يقدر المحنة الحاضرة حق قدرها

ولذلك سببان الواحد اطمئنان الحكومة للحالة المالية وعدم قلقها منها . والثاني اعتقاد الجمهور بان نشاط البلاد الصناعي والتجاري ورفاهها العام يمكنانها من حمل الاعباء التي اضيفت الى مواردها من غير اضطرار الى الاقتصاد البالغ حدّ الشح والتقتير . وزاد هذا الاعتقاد فيهم زيادة الحركة الصناعية في بعض مراكز الصناعة الكبرى وارتفاع اجور العمال وارباح الشركات . وتناقص اهل البطالة شيئاً فشيئاً ثم اختفاؤهم اذ وجد كلّ منهم عملاً . وزيادة ساعات العمل الى حدّها الاقصى . وانضمام كثير من النساء والاولاد الى صفوف العمال . وهذا كلهُ خفف وطأة اخراج ثلاثة ملايين من الشبان الاشداء من حرفهم ومهنهم المختلفة ووطأة الشعور بالخسارة التي خسرتها الصناعة والتجارة وسائر مرافق العيشة العادية بخروجهم من اعمالهم وانضمامهم الى المحاربين والمشتغلين بالحرب وشؤونها . ومما يجب ذكرهُ بهذا الصدد ان انضمام كثيرين من تلاميذ المدارس والاطباء والمحامين ومن شاكلهم الى الثلاثة الملايين المذكورين لم يفض الى خسارة مادية مباشرة ولكن انضمام عدد كبير من الصناع اليهم وما عقب ذلك من الاضطراب واختلال في الحركة الصناعية افضى الى قلة دخل البلاد في حين ان الحاجة تدعو الى التوفير منهُ لسدّ نفقات الحرب

وهذا يبين لنا كيف ان عقد القروض لا يجدي نفعاً ولا يحسب اداة خير للتوفير المرغوم .

فان سهولة الحصول على مقادير كبيرة من الاموال بالقروض الحربية وبيع سندات الخزينة افضيا الى انغماط ذي خطر لا يزول من الاذهان الاَّ اذا أُدركت حقيقة هذه الطرق المالية وحقيقتها ان بناءها على فساد

الحرب وموارد الرجال

ق تنتهي هذه الحرب الطاحنة ولمن يكون الفوز فيها اخيراً · هاتان مسألتان تخطران على بال كل احد · لا عجب اذا خطرتا كل يوم على بال كل من يقرأ الجرائد اليومية · وكثيراً ما يستفتح المرء اليوم استفتاحاً ينقضهُ غداً ولو كان من كبار رجال السياسة لكثرة العوامل التي تعمل في الممالك الواسعة المشتركة في هذه الحرب · ولقد كان المظنون في اول الامر ان الحرب لا تطول الاَّ بضعة اشهر او اقل من ذلك · والمرجح ان هذا كان اعتقاد الالمان والاَّ ما اقدموا عليها واعتقاد الروس ايضاً والاَّ ما خاطروا بكل قوتهم حتى استنزفوا ما عندهم من الذخيرة في الاشهر الاولى من الحرب · اما قوَّاد الانكليز فلم يكن هذا رأيهم ولا يزال قول لورد كتشنر يرنُّ في الآذان وهو انهُ يستلم وزارة الحربية مدة السنوات الثلاث الاولى من سنوات الحرب ثم يتركها لمن يخلفهُ فيها · والمرجح ان قواد الانكليز لم يغيروا رأيهم هذا اي انهم لا ينتظرون ان تضع الحرب اوزارها قبل انتهاء السنة الثالثة حتى لقد قال لنا قائد من قوادهم بالامس انهُ مستعد ان يراهن كل احد على ان الحرب لا تنتهي قبل اواخر سنة ١٩١٧

هذا من حيث مدة الحرب اما الفوز فيها فالحلفاء قالوا من اول الامر انهم لا يخمدون سيوفهم ما لم يتحقق لهم الفوز التام ولم يزالوا على قولهم · وقد قال خصومهم هذا القول ايضاً في اول الحرب وزادوا فيهِ تأكيداً رويداً رويداً باتساع البلدان التي احتلوها في اوربا ثم اخذت سورتهم تخمد رويداً رويداً والظاهر انهم صاروا يودون الآن ان يعقدوا الصلح لا عليهم ولا لهم

كتب الجنرال تشتندن الاميركي في المجلة العلمية الشهرية يقول ان الحرب الحاضرة قد مرَّ عليها الآن من الشهور ما استنزف الاستعداد السابق لها وجعل مصيرها متوقفاً على مقدار ما تستطيعهُ الامم المتحاربة من الصبر عليها اي على مقدار ما عندها من الرجال والمال · ثم بيَّن مقدار ما عند كل دولة من الدول المتحاربة من الرجال الذين تستطيع ان تلحقهم وتسوقهم الى ميدان القتال · فان كان الجنود يجندون من الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ او بين ١٧ و ٥٠ بلغ عددهم من كل مئة الف من السكان ما تراهُ في الجدول التالي

	في انكلترا وويلس	في المانيا	في فرنسا	في اميركا
من سن ١٨ الى ٤٥	٤٢٤٠٦	٣٩٧٢٧	٤٠١٩٠	٤٣١٠٠
« ١٧ الى ٥٠	٤٧٧٥٦	٤٦٧٠٠	٤٧٩٠١	٤٩٩٠٠

واذا عُرف عدد سكان بلاد فاضربهُ في العدد المذكور ههنا واقسم الحاصل على مئة الف فيكون لك عدد الذين في السن المطلوب . ونصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث تقريباً ولكن لا بدَّ من ان يطرح من هؤلاء كل الذين لا يصلحون للخدمة العسكرية والذين يجب ابقاؤهم لتعاطي الاعمال الضرورية . وقد قدَّروا عدد الصالحين فعلاً للخدمة العسكرية ١٦ في المئة من السكان اذا كان سنهم بين ١٨ و ٤٥ و١٨ وثمانية اعشار في المئة اذا كان سنهم بين ١٧ و ٥٠ وعليهِ فالذين يصلحون للخدمة العسكرية يمكن تجنيدهم في كل البلدان المتحاربة هم كما في الجدول التالي

	عدد السكان	بين ١٨ و ٤٥	بين ١٧ و ٥٠
المانيا (احصاء ١٩١٦)	٦٧٨٠٠٠٠٠٠	١٠٨٥٠٠٠٠٠	١٢٧٤٠٠٠٠٠
النمسا والمجر « (١٩١٠)	٥١٨٠٠٠٠٠٠	٠٨٢٩٠٠٠٠٠	٠٩٧٤٠٠٠٠٠
تركيا « (١٩١٠)	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٣٢٠٠٠٠٠٠	٠٣٧٦٠٠٠٠٠
بلغاريا (١٩١٤)	٠٤٨٠٠٠٠٠	٠٠٧٦٠٠٠٠	٠٠٨٧٣٠٠٠
المجموع	١٤٤٤٠٠٠٠٠	٢٣١٠٠٠٠٠٠	٢٧٢١٣٠٠٠٠
روسيا (١٩١٢)	١٧٣٣٥٦٠٠٠	٢٧٧٣٧٠٠٠	٣٢٥٩١٠٠٠
بريطانيا (١٩١٣)	٠٤٦١٨٥٠٠٠	٠٧٣٩٠٠٠٠	٠٨٦٨٣٠٠٠
فرنسا (١٩١١)	٣٩٦٠٢٠٠٠	٠٦٣٣٦٠٠٠	٠٧٤٤٥٠٠٠
ايطاليا (١٩١١)	٣٥٢٣٩٠٠٠	٠٥٦٣٨٠٠٠	٠٦٦٢٥٠٠٠
بلجكا (١٩١٢)	٠٧٥٧١٠٠٠	٠١٢١١٠٠٠	٠١٤٢٣٠٠٠
صربيا (١٩١٤)	٠٤٥٤٧٠٠٠	٠٠٧٣٢٠٠٠	٠٠٨٥٥٠٠٠
الجبل الاسود (١٩١٤)	٠٠٥١٦٠٠٠	٠٠٠٨٣٠٠٠	٠٠٠٩٧٠٠٠
المستعمرات	٣٥٠٠٠٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠٠٠	٠٤٧٠٠٠٠٠
المجموع	٣٣٣٠١٦٠٠٠	٥٢١٢٧٠٠٠٠	٦٢٤١٩٠٠٠٠

ولا يخفى انهُ لا يمكن الاعتماد الاَّ على قليلين من رجال البلقيك والصرب والجبل

الاسود وان عدد سكان المستعمرات تقريبي ومع ذلك يبقى عدد الحلفاء اكثر من مضاعف عدد الجرمان مع تركيا و بلغاريا

قال الجنرال تشتندن اننا اذا حسبنا ان جنود الحلفاء المشتركين فعلاً في الحرب يجب ان لا يقلوا عن ٨ ملايين وجنود الالمان يجب ان لا يقلوا عن ٦ ملايين لحفظ الموازنة وان الحلفاء يخسرون في السنة بين قتيل وجريح واسير ثلاثة ملايين وخصومهم يخسرون مليونين ونصف مليون فالحلفاء استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١٤ مليوناً ثمانية ملايين منها بقيت في ميدان القتال وستة فقدت بين جرحى وقتلى واسرى . وخصومهم استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١١ مليوناً خمسة ملايين منها فقدت بين جرحى وقتلى واسرى وستة بقيت في ميدان القتال . وسيبلغ ما استخدمهُ ويستخدمهُ الحلفاء حتى نهاية السنة الثالثة ١٧ مليوناً وخصومهم ١٣ مليوناً ونصف مليون

فلا مجال اذاً للقول ان قلة الرجال تستلزم ان تنتهي الحرب بعد سنة او سنتين او ثلاثة لاننا اذا جرينا على الحساب السابق بلغ عدد من يكون قد استخدم من رجال الفريقين كل سنة كما ترى في الجدول التالي

	الحلفاء	خصومهم
في نهاية السنة الاولى	١١ ٠٠٠ ٠٠٠	٨ ٥٠٠ ٠٠٠
» » » الثانية	١٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١١ ٠٠٠ ٠٠٠
» » » الثالثة	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١٣ ٥٠٠ ٠٠٠
» » » الرابعة	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠
» » » الخامسة	٢٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨ ٥٠٠ ٠٠٠
» » » السادسة	٢٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٢١ ٠٠٠ ٠٠٠
» » » السابعة	٢٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٣ ٥٠٠ ٠٠٠

ففي السنة السابعة يبقى عند الحلفاء اكثر من عشرين مليوناً يمكن تجنيدهم ولا يبقى عند خصومهم غير الجنود المجندة ولا عبرة بالذين يبلغون من الفتيان في غضون هذه المدة لانهُ يموت من الكهول او يشيخ رجال يساوونهم عدداً . ولكن لا ينتظر ان تدوم الحرب سبع سنوات لانها ليست متوقفة على عدد الرجال فقط بل هي متوقفة ايضاً على درجة تأهبهم للحرب وعلى سهولة نقلهم من مكان الى آخر وعلى ما يمكن ان يقدَّم لهم من الذخيرة . وهذه الشروط تغير منهاج الحرب لانهُ اذا استطاع احد الخصمين ان يصلح في سنة مَن ينتظر تصليحهم في سنتين او اكثر ويضرب بهم خصمهُ فلا يبعد ان تنتهي الحرب حالاً . انتهى

التنقيب العلمي

وتقويم قيمته المالية (١)

لا ريب ان الاوربي او الاميركي ينظر الى العالِم الباحث نظر احترام واعجاب ولكنهما احترام واعجاب مبهما الحدود كمن ينظر الى شيء من خلال سحابة . وليس ذلك بالغريب اذ قلَّ من رأى من اهل اوربا واميركا عالماً او اجتمع به . وانما من ذلك من دخل داراً تقام فيها الابحاث العلمية وشهد العلماء وهم يبحثون وينقبون

فلا بدع والامر على ما وصفنا ان لا يكون في ذهن الاوربي او الاميركي العادي صورة لما تسميه بالعالِم وان لا يفقه معنى البحث العلمي . ويقال اجمالاً ان الجميع يسلّمون بان العالِم رجل واسع العلم (وليس ذلك صحيحاً في الغالب) يعيش عيشة غير راضية ورأسهُ مدفون في كتاب او عينهُ متصلة بالتلسكوب او المكرسكوب كأنما الصقت بهما بالغراء وريح المواد الكيماوية الكريهة تهبّ من ثيابه

وكثيرون منا يعلمون اننا مدينون بما نعرف عن اشعة اكس مثلاً والتلغراف اللاسلكي او الطيارة لهذا العالِم او ذاك ولكن قليلين منّا يعلمون اننا مدينون بجميع هذا المحيط المادي الذي يحيط بنا و بجزء كبير من المحيط الاجتماعي والادبي للسوقة العلماء

لو سأل سائل ما قيمة العلم للانسان لاجبناهُ بأن قيمتهُ هي جميع قيمة العالم الذي نعيش فيهِ الآن او الفرق بين قيمة هذا العالم والعالم في عهد الانسان قبل التاريخ . ولزيادة الايضاح نقول حدثت في سنة ١٨١٣ حوادث جمة . فان قوة نابليون اخذت تضمحل فقام بعدهُ عدد لا يحصى من المؤرخين فكتبوا صحائف لا تحصى في وصف الحوادث الكبيرة والصغيرة التي افضى اليها سقوطهُ ولكن حادثة واحدة من حوادث تلك السنة لم يذكرها المؤرخون فيما كتبوا وسطروا وهي اكتشاف السر همفري دايّ للرجل الذي سيبقى على مرّ العصور المثل الاعلى للعلم الصحيح الا وهو ميكائيل فارادي . اما كيفية اكتشافهِ فمبينة في حديث دار بين السر همفري وصديق لهُ اسمهُ بيز

همفري — لست ادري ما انا صانع يا بيز . فقد اتاني كتاب من شاب اسمهُ فارادي شهد خطبي في المعهد الملكي وهو يطلب الاستخدام في المعهد . فما العمل

بيز — خذهُ يغسل الزجاجات فاذا رفض لم يصلح لشيء

(١) من قلم الاستاذ روبرتسن احد اساتذة جامعة كليفورنيا الاميركية

همفري — «كلا ثم كلا» — لا بدّ لنا من تجربته في عمل احسن من هذا» . فاستخدمهُ في العمل الكيماوي باجرة اسبوعية . وقد كان لهمفري مكتشفات جمة ولكن ليس فيها ما هو اهم من اكتشافهِ لفارادي . ولعمر الحق ان دخول فارادي للمعهد الملكي سنة ١٨١٣ ليس اقلّ عائدة على بني الانسان من جميع الحوادث التي حدثت في تلك السنة . ففي صباح عيد الميلاد من سنة ١٨٢١ دعا فارادي امرأتهُ الى المعمل لمشاهدة دوران المغنطيس حول المجرى الكهربائي لاول مرة في تاريخ الانسان . وبذلك وضع اساس الكهربائية المغنطيسية وعليهِ بنى ذلك البناء العلمي في الاربع عشرة سنة التالية . والتجت الاعمال التي عملت فيها المحرك الكهربائي والمولّد الكهربائي واستخدام قوة انحدار الماء في توليد الكهربائية والمركبة الكهربائية والنور الكهربائي والتلفون والتلغراف وسائر ما ينتسب الى الكهربائية . وقد كان المغنطيس الدائر الصغير الذي اراهُ فارادي لامرأتهِ اول محرّك كهربائي

اما قيمة هذا الاكتشاف المالية فتظهر مما يلي :

قدرت سنة ١٩١٧ قيمة النور الكهربائي ومحطات توليد التيار الكهربائي في اميركا وحدها بمبلغ ١٠٩٧ مليون ريال . وقيمة ما فيها من التلفونات بمبلغ ٨٣٠ مليون ريال . ومجموع الدخل السنوي منها كلها بمبلغ ٣٦٠ مليون ريال او نحو ٧٢ مليون جنيه . وفي اميركا شلالات يمكن الانتفاع منها بما تعادل قوتهُ قوة ٥٠ مليون حصان واستخدام هذه القوة انما يكون باستخدام المحرك الكهربائي المنسوب الى فارادي . ولو قدرنا قيمة قوة الحصان الواحد في السنة بعشرين ريالاً — وهو تقدير معتدل — لبلغ مجموع الدخل ٣٠٠٠ مليون ريال وهو فائدة رأس مال قدرهُ قدرهُ ٧٥٠٠ مليون ريال على حساب ٤ في المئة

وقد مات فارادي سنة ١٨٦٧ فقيراً معدماً لا لأن فرص الغنى قليلة ولا لعجز فيهِ عن اغتنام هذه الفرص بل لانهُ لم يرَ محيصاً من احد امرين فاما طلب العلم واما طلب المال اذ حسب ان طالب علم وطالب مال لا يجتمعان فاختار الاول كما قال تلميذهُ تندل الشهير ونعم ما فعل لانهُ انما فعل ما يجب ان يفعل ومما فعل جمهور العلماء قبلهُ . ولكن الامر الذي يسوءُ ذكرهُ هو انهُ من الغنى الوافر الذي جلبهُ فارادي للعالمين لم يردّ جزءٌ من مليون بل اقل من ذلك على العلم لترويج غاياتهِ ولمداومة البحث والتنقيب فيهِ . فان المعاهد التي خصت بالبحث العلمي في العالم كلهِ تعدّ على الاصابع . ففي معهد سولفاي في بروكسل . ونوبل في ستوكهلم . وباستور في فرنسا . وواحد في فرنكفورت . وآخر في برلين . وواحد في كلّ من بترو غراد وفينا وتابلي ولندن والخرطوم . واربعة معاهد في الولايات المتحدة الاميركية .

على ان اثنين منها اي معهدي بروكسل وفرنكفورت انشئا بساعي عالمين هما سولفاي في الاولى وارليخ في الثانية . وقد بذلا جهدهما في الجمع بين طلب المال والعلم فوقفا المال الذي جمعاه على ترويج العلم الذي كان سبب الحصول على المال

حسبت سنة ١٩٠٠ قيمة الاعمال الصناعية التي انشئت في اميركا بناء على اختراعات علمية مسجلة فكان دخلها السنوي نحو ٤٠٠ مليون ريال وهو ريع مال قدره ١٠٠٠٠ مليون ريال . ولا يمكننا ان نقدر ولو بالتقريب ما يعود من هذا المال على العلم مساعدة للباحث الذي ينشئ الثروة المستقبلة . ولكننا نعلم ان راس مال معهدي روكفلر وكارنجي — وهما اغنى المعاهد العلمية في الدنيا — لا يزيد على ٢٩ مليون ريال . وحسب دخل معاهد العلم العليا في اميركا سنة ١٩١٣ فكان ٩٠ مليون ريال لم ينفق فيها على البحث العلمي سوى القدر اليسير

فان كان العلم الطبيعي يعود على الناس بمثل هذه الثروة الطائلة أفما من سبيل الى رد عشر معشار هذه الثروة عليه لاستئناف البحث والتنقيب ولا سيما ان القليل من المال الموقوف على العلم ينتج اكثر من الكثير . فان المال المقطوع لمعهد الكيمياء الطبيعية في برلين بلغ ٤ آلاف جنيه فقط سنة ١٩١١ . ولمعهد فرنكفورت حيث اكتشف علاج « ٦٠٦ » لم يزد على هذا القدر سنة ١٩١٣ . ولمعهد المباحث الطبية في بتروغراد بلغ ١٩ الف جنيه . ولمعهد التجارب الطبيعية في انكلترا ٨ آلاف جنيه . وهذه المعاهد من اشهر معاهد البحث العلمي في الدنيا وقد عادت على الناس بمنافع لا تقدر من الوجهات المالية والادبية

وفي سنة ١٨٥٦ اكتشف كيماوي انكليزي اسمه بركن صبغاً من اصباغ قطران الفحم الحجري . وكانت نفقة هذا الاكتشاف قليلة لا تذكر ومع ذلك استوردت اميركا من هذه الاصباغ ما قيمته ٦٣٥ ١٦٤ ريالاً سنة ١٩٠٥ . وباعت المانيا منها في تلك السنة ما بلغ ثمنه ٢٤ ٠٦٥ ٥٠٠ ريال

وحسنت شركة الكهربائية العامة في اميركا الاسلاك التي توضع في المصابيح الكهربائية فنتج عن هذا التحسين اقتصاد فيما ينفق من الكهربائية بلغ ٢٠ مليون ريال للبائع والمشتري في خلال عشر سنين مع ان العمل الكهربائي العلمي الذي تم هذا التحسين على يده لم ينفق على مباحثه في خلال المدة المذكورة سوى ١٠٠ الف ريال

وكان هكسلي يقول ان اكتشاف پاستور لعلاج البثرة الخبيثة (الانثركس) وامراض دود الحرير وكوليرا الدجاج اضافت الى ثروة فرنسا كل سنة قدراً يساوي الغرامة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حرب سنة ١٨٧٠

ان الانسان لم يفرغ من مصارعة الطبيعة حتى الآن بل لم يكد يبدأ . وامامهُ الزمان يعدُّ لا بمئات السنين ولا بالمئات ولا بالالوف بل بالملايين على الراجح كما يخبرنا علم الفلك . وقد مضى عليهِ الى الآن ثلاثة آلاف سنة وهو يبحث ويستقصي فادنى اليهِ اطراف الارض حتى كأنها على ابوابهِ . واقام معالم الحضارة وأزال معالم الهمجية . ولم يأتِ عليهِ مئة عام منذ كان عبداً لعناصر الطبيعة فاصبح سيداً لها — من بُعد وهواء وماء . وعرف ما يكنهُ بطن الارض . وكبح جماح كثير من الامراض والآلام . بل لم تأتِ عليهِ اربعون سنة منذ استعمل مضادات الفساد في طبهِ وستون سنة منذ استعمل المخدرات في جراحتهِ . فما بالك باتذخرهُ لهُ ملايين السنين من اسباب الحول والقوة . ومهما يخبئهُ المقدور لهُ فهو سيبقى انساناً وبقاؤهُ انساناً يجعلهُ يستقبل المستقبل غير هيّاب على منهُ بانهُ سوف يكون افضل من الحاضر

وليس زمام المستقبل في ايدينا فنحجل مجيئهُ الينا ولكن قد لا يعيينا ان نتصدى لهُ ونستحث مسيرهُ ولو بعض الشيء . صحيح اننا لا نستطيع خلق النوابغ ولا تيئيسهم في غالب الاحيان ولكننا اذا تبيّناهم فليس ثمة ما يمنعنا من استخدامهم للنفع العام . ولا ينكر ان الاكتشاف والاختراع توقفا في الماضي على الافراد وسيبقيان كذلك في المستقبل . فان نوابغ القرن السابع عشر هم غليليو ونيوتن وافراد اقلال من معاصريهما . ونوابغ القرن الثامن عشر يكادون يعدون على الاصابع . ونوابغ القرن التاسع عشر لم يكونوا كثاراً . ونوابغ القرن العشرين قد لا يزيدون عليهم . واول ما يجب علينا عملهُ البحث عنهم وتعرفهم من آثارهم ثم تشجيعهم ادبياً ومادياً لا كما كنا نصنع فيما مضى . فقد كتب كبلر المشهور بمذهبهِ الفلكي كتاباً الى صديق لهُ يقول : التمس منك ان وجدت منصباً خالياً لي في تورنجن ان تبذل جهدك في تعييني فيهِ . واخبرني بسعر الخبز وسائر الحاجيات هناك لان زوجتي لم تتعود المعيشة على الفولي »

بين معاصرينا الآن فايبر مؤسس الفلسفة العقلية النسبية وقد لقبهُ دارون في زمانهِ « بالمراقب الذي لا يبارى » وهو الآن مجاوز التسعين وكان الى عهد قريب يعاني مضض الفقر . ووقف الفقر عقبة كؤداً في سبيل بحثهِ طول عمرهِ . والوف من المسائل التي هو اجدر الناس بالبحث فيها لا تزال الى الآن مهملة اذ لم يكن عندهُ من المال ما يشتري بهِ الادوات اللازمة للبحث

فلا مناص اذاً من ان تقف المال خصيصاً على البحث العلمي واهلهِ والاَّ تساقطت اثمارهُ قبل الاوان وهصر غصنهُ في الاطراوان

الانسان ازاء المدنية

(تابع ما قبلهُ)

من منكم ايها السادة يشعر بهذه الحرب التي هو ميدانها حرب دائمة لا صلح فيها ولا سلام فاما غالب واما مغلوب . اجل اننا نشعر بها عند ما نرزح تحت ثقل الداء كالحمى او الالم كالصداع ولكن كم من المناوشات تنشب بين المكروب والدم دون ان نحس بها وكرياتنا البيضاء وحدها تحمل عبأها الثقيل والله يعلم كم يموت منها في هذا السبيل كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . من منكم لم تصبهُ وخزة ابرة أو لم يتألم من حرقٍ او غيره من الآفات الصغيرة التي يتكون من جراثها مدَّة صديدية ؟ اتعلمون من اين اتت تلك المدة وما هو ذلك الصديد ؟ هذه جثث الكريات البيضاء والخلايا الفارَّة التي ماتت دفاعاً عن الجسم عند ما تطرَّق اليهِ المكروب تخنَّث الى قتالهِ — فالسلام عليك يا ابطال الدم شهداء النهجة والحياة . تموتين من اجل الانسان وهو عقوق لا يحزن لك وجاهل لا يعتبر بك تموتين ولا تحتاجين الى من يزور لك مقاماً او يقلد صدرك وساماً او يهدي اليك على الاقل سلاماً

اذا سألتم أين تذهب جثث الموتى من المحاربين وكيف لا تفسد الهواء وانتنها الكريهة قلت لكم ان لها مدافن عديدة يحملها اليها الدم وامهما الطحال . الطحال الذي يأكلهُ بعضكم ساعة الطرب عند ما تدار الكؤوس هو المقبرة الكبرى التي تضم هذه الرفات من صديق وعدو فما اغرب اطوارك يا انسان

رب معترض يقول كيف يضم الطحال هذه البقايا ولا يتصدَّع ؟ أين يضع تلك الجثث التي ترد اليهِ تباعاً بلا انقطاع وهو على ما نعلم لا كبر ولا اتساع . ألا فاعلموا ان الخليَّة كالجسم فكما يحل الجسم تحت التراب وتعود عناصرهِ الى تجديد الحياة تندثر الكريات في الطحال لتجدد خلق الكريات

هذه هي اسرار التنازع الحيوي في الجسم الانساني أطلعنا عليها علم البكتيريا فعرفنا سر الداء وكُنهَ الدواء وادركنا كيف يحصل الجسم المناعة على المرض . ومعرفة هذه المناعة هدت الباحثين الى اكتشاف علاج واقٍ شافٍ لامراض هائلة كالدفتيريا مثلاً وبها سيتوصلون الى الانتصار على سائر الامراض باذن الله . ولم يكف الانسان ما فعل بل تعدى من صحة الفرد الى الجماعة فاقام سدَّاً صحية يحفظ بها نظام الاجتماع وتكفل للفقير والضعيف والمريض القوت والقوة والشفاء . بل ذهب الى ابعد من ذلك فاراد محاربة الوراثة

المرضية بالاهتمام بصحة الخاطبين حفظاً لجمال النسل وإشفاقاً على قومه ان تتبدد جيلاً بعد جيل . ولكن هذا المبدأ لا يزال قليل الانتشار لان نزع العادات اصعب من نزع الاسنة والطامع بالزواج لا يوافقهُ اعلان ما بهِ من ضعف . ولا بدَّ من مرور الزمن على هذه الفكرة لتختمر وتدخلها الحكومات في نظامها فلا يكون زواج بدون فحص طبي او شهادة طبيب يحلل ذلك ويتحمل تبعتهُ البعيدة من الوجهة الصحية

وحسبكم ان تلقوا نظرة على الطرق التي يخططونها اليوم في بناء البيوت وتوزيع الحرارة والكنس والتطهير وما يقيمونهُ من الملاجئ لراحة الحبالى اهتماماً بالطفل من قبل ان يولد والمعاهد لتوليد الفقيرات وتوزيع اللبن المعقم على الاطفال الى غير ذلك — لتتأكدوا مبلغ الرقي الذي نالهُ انسان اليوم بفضل العلم . فالبقاء يا سادة حقٌّ مقدس جهلهُ الاقدمون وعرفناهُ نحن دون ان نستطيع المحافظة عليهِ ولكن الزمان الآتي كفيل بهِ فالرحمة ديانة المستقبل وهيكلها العظيم سيشيد في ضمير كل انسان على اساس احترام هذا الحق

ولست ارى في الحرب الحاضرة ما يناقض قولي فالحرب ليست بنت التمدن وان استمدت سلاحها منهُ وما قصدي ان اشرح لكم فلسفة الحروب واسبابها ونتائجها انما اردت ان اقول ان جسم المجتمع كجسم الفرد يعتورهُ الضعف والمرض وهذه الحرب ان هي الاَّ حمى شديدة اصابت دماغ البشرية الراقية فارتفعت درجة الحرارة الى الاربعين وزادت سرعة النبض الى المئة والخمسين وضاق مجال النفس وغاب الرشد ووقف الاطباء دونها حيارى عزَّلاً ولكنها ستزول و يتغلب جسم الاجتماع عليها بما فيهِ من ذخيرة الارتقاء وقوة التعقل فيخمد ذلك السعير ويعود ذهن التمدن الى الصفاء وقلب الانسانية الى خفوقهِ الطبيعي وتتبدد اعراض الداء واحداً بعد آخر بل ربما فعل كبعض الامراض فكان لقاحاً للمجتمع يعطيهِ مناعةً على الحرب الى اجل بعيد

والمتشائمون الذين يرون في هذه الحرب وقوفاً بالانسان عن اطراد الرقي مخطئون فكثيراً ما تخرج الاختراعات من بين الحديد والنار . وما هاج الفكر البشري بشيء كهذه الحرب فانها بعثت فيهِ حياة لم تكن من قبل فرأى ما لم يحلم بهِ في ايام سلمهِ فاذا صح ان الانسان هو الذي يخلق الشدة لنفسهِ فقد صح ايضاً انهُ هو الذي يعرف ان يزيلها فيفني ما اوجد و يوجد ما افنى . والذي ارى ان هذه الحرب ستكون وافرة العظات والعبر كما هي وافرة المصائب ومذ اليوم نرى الدول المتحاربة او بعضها يجتهد ان تستفيد منها للمستقبل فتنشئ الجمعيات وتنشر الخطب فيما يجب ان يكون عليهِ نظام المعيشة بعد الحرب في البيت والمدرسة والنادي

ليتشبع للجيل الآتي الصفات اللازمة من قوة وصحة وصبر على المشاق ولباقة في العمل وتفنن في الاختراع

لا انكر ان الحرب من اقدر اعداء الانتخاب الطبيعي وأكد العقبات التي تعترض اصلاح النسل بما تذهب به من اهل القوة والشباب وهم زهرة الامم وغاية آمالها ولكنها لا تذهب بهم جميعاً ولا يزال في البقية الباقية مع يعتاض به مع الوقت

ايها السادة لما اخذت بتحبير هذا الخطاب ما ظننت قط اني قادر على نظم بيت من الشعر فيه فلما وصلت الى الكلام عن الحرب شعرت بنزوة في انزاس وظهرت لي إلاهة الشعر تومئ بلحظها نفرتي ابتسامها فاطلقت الخاطر بين يديها واذا به عائد بهذه الابيات استميحكم ان لا اقرأها الآن بل امضي في خطابي الى النهاية ثم اتممكم اياها على حدة

وصلنا بالانسان الى قمة مجدو الحاضر وهي قمة عالية كما ترون لو تطلعنا منها الى الوراء لاصابنا دوار من بعد المسافة وانحدارها . عجباً لهذا الكائن المسكين الجاهل الغشوم الذي كان يسعى ليل نهار وراء ما يفتات به ولا ينالهُ الاَّ بشق النفس ولا يكاد يستطيع الدفاع عن نفسهِ بين عواصف القدم حتى تفسهُ يقيس الكون ويزن النجوم ويخضع قوى المادة . هو الذي فاز على الدهر واحيا بالعلم العصور الغابرة فرأت من امامهِ بشهد لم تزهُ عين ولم يحلم بهِ خيال . ما اغرب هذا التاريخ تاريخ البشر على الارض قصيدة من قصائد الادهار ابياتها الاولى منقوشة في بطون الارض لا بطون الكتب رويها آلام وقوافيها دموع . وبعدها كم من عقبة فتتوح . ومعضلة فاكتشاف . وحيرة فيقين . وضلال فهدى . وحلم فحقيقة . وكل ذلك من بدع تلك الكتلة الصغيرة المضطربة في رأس الانسان

فيا للرقي السامي الشريف قدر لهذا القرن ان يكون سيد القرون وان يفهم الناموس الاكبر الذي تخضع لهُ الاحياء وغيرها وان الانسان لا يبقى الاَّ اذا مشى ولا يثبت الاَّ اذا تحول وان الكون ينمو ويرقى ولا يشابه يومهُ امسهُ ولا غدهُ يومهُ . قدر لهُ ان يفهم هذا الناموس العجيب — التقدم الدائم وان الزمان كالشلال لا يقف في سيرهِ ولا يرجع الى الوراء وان كل دقيقة تصلنا منهُ هي خلق جديد وصورة جديدة وان الكرة الارضية لم تكن بالامس كما هي اليوم وكما ستصير في الغد فلا حال تدوم ولا صورة تبقى سنة الله في البقاء نشوء وارتقاء

ماذا تكون فتوحات الجيل الآتي وما هي المفاجآت التي يتوقعها ؟ ماذا تخبئ لهُ خاصية الاشعاع في المادة ؟ هل يتوصل الى اطلاق القوى الهائلة المضغوطة في الجوهر الفرد ؟ هل يهتدي الى تحويل المعادن ؟ هل يستطيع اخماد ثورات العناصر الطبيعية ؟ هل يتمكن من

الشعور بالظواهر الجوية كالشعور بأزيز المجلّات؟ هل يخرق اسرار الكهربائية والمغناطيسية؟ هل يحل مسألة الحياة؟ كيف اجلنا الطرف لا نرى الاّ ممكنات والغازّ واذا قابلنا بين ما نعرف وما نجهل بين ما نستطيع وما نعجز عنهُ نكاد نكون كبرياء تزول ولا يبقى لنا الاّ ان نطأطئ الرأس صغاراً امام عظمة المجهول

هذا هو تاريخ الارتقاء على قدر ما يسعهُ الرمز والايماء ذكرت فيهِ النزر القليل من الجهد البشري العظيم وما لم اذكرهُ لكم هو عمل الافراد الخفيّ وحياة الجموع المظلمة والاطماع الطائشة وسط المعمعة والاهواء الدنيئة والغرائم المنفردة — كل ما يخرج من قوة الفرد ويتحدر الى قوة المجموع ليؤلف ذلك البحر العجاج . تلك هي مظاهر القلب البشري تتغير وهو واحد لا يتغير في ثياب الحرير والصوف او تحت دروع الفولاذ والحديد : رواية آلامهِ الخالدة من جرائم وجنون ودموع ودماء واعياد مجيدة وشجاعة لامعة واخلاص عظيم . هدير امواج البحر البشري يستفزهُ المد الصاعد تحت السماء الصافية او الغيوم المتلبدة تخترقهُ اشعة المجد الظافر أو لهيب النار الآكلة وفوق هذا القطيع المضطرب الحائر جيئة وذهاباً يتزلف الموت بليلهِ الابدي ويم الكون . والفكر من فوق هذا الكون يرف بجناحيهِ مدركاً شريعة البقاء الهائلة وهي التنازع وبقاء الانسب التنازع الدائم في الانسان وحول الانسان . الحق للقوة فالنصر يبقى والبائد تسحق عليهِ عناكب النسيان

وبعد ذلك كله فاين المصير؟ يخال مما تقدم ان القوة العظيمة التي رفعت الانسان من حضيض البهيمية ستظل ذاهبة بهِ صعداً حتى يتسنى لهُ العروج الى اعلى مراتب الكمال . ولكن مع الاسف لا نرى حولنا ما يؤيد هذا الظن فالرقي لا ينجم عن اشتراك النوع الانساني كلهِ في العمل ليكون كل عصر ارقى مما قبلهُ بل هو رواية تتوالى فصولها دون ان تتشابه وتتغير ابطالها في كل مشهد . كل امة تبدو لنا من خلال القرون مستقلة في ارتقائها من يوم تنشأ الى يوم تزول . تتعاقب الاجيال في حمل مصباح التمدن فيفرغ كل جيل ما عندهُ من القوى في سبيل تسريجهِ ويذهب كما أتى وكل تغير او شعاع جديد يرافقهُ سقوط ملك وقيام آخر

هذه مصر لم يُنهها طول اشراقها عن ان تدخل في ظلمات الخمول وكذا الهند والصين على وجودهما في مأمن من غزوات الفاتحين . وما ضرّ اليونان قيام رومة كما ضرها انبساط مجدها عند ما وقف بها حيث هي تنامت في ظلالهِ مكتفية بذكرى الماضي . وما كان هرم رومة نفسها الاّ بانحلالها الطبيعي لا بقيام البرابر عليها . هكذا سيبلغ تمدن هذا الزمن غايتهُ

فيقف عند حد محدود ولا يقيه دم الشباب والقوة الجاري في عروقه فقد جرى مثله في عروق مصر عند ما نشطت فنضمها من ظلمات العصور الاولى وقد جرى مثله في عروق اليونان عند ما افاضت على العالم حكمتها وعلومها وفنونها . كل امة في الوجود ذاقت بدورها هذه الساعة المجيدة من القوة والابداع والغنى ثم ذهبت كأن لم تكن وكل واحد منا يمثل في حياتنا القصيرة ما يجري في حياة الشعوب والممالك . ألا ترى كيف يلمع كوكبه حيناً في زمن الشباب ثم تغشاه غيمة الخمول فيقف دون بلوغ الغاية التي اعتزت لها جوانحه فتكن عواصف نفسه الثائرة على ما فيها من خصب وابداع وتزرع قواه باحماضها فيعود الى القناعة بالتدريج ولا يبقى سبيل للتوليد والاختراع . فلان يأخذ هذا العصر الغرور بشبابه فيتبدد همه ويخمد ناره وتستقر عزيمته كأنها اشخاص متحجرة يمثلها الخلف ويقيم عليها

ولنا في تاريخ الكائنات الف برهان على ذلك وكل نوع يرتقي الى ان يستكمل عدته للتنازع فيقف عند حده وتغلب الغريزة الذكاء ولا يزال الانسان يرقى من قمة الى قمة ويطير في فضاء المدنية من افق الى افق الى ان يأتي اليوم البعيد الذي لا يعود فيه قادراً على البقاء لان الشمس مصدر الحياة تفنى ايضاً الى الهرم فيخف نورها على مر الازمنة ومع النور الحرارة التي تستمد الارض حياتها منها

في ذلك اليوم ايها السادة يوم لا تعود حرارة الشمس كافية للارض يأخذ الانسان بالتقهقر كغيره من الاحياء الارضية ويرجوع الى حال الفطرة ايام كان برد الجليد يعض عليه بنابه وزمهرير الليالي يبعث الرعدة في مفاصله فاذا استيقظ كاد الخدر الساري في اعضائه يمنعه من النهوض وراء حاجاته القليلة . في ذلك اليوم يعود الى الكهوف والغيران يطلب الدفء من ورائها مقتنعاً من القوت بما تقدمه له الطبيعة الخائرة وقد اصبح فاتر الهمة متثاقل الحركة خامد الذهن فلا نار تتقد في عينيه ولا ابتسامة تلمع بين شفتيه . وتحت تلك الجمجمة التي اظلت فيما مضى عقله الكبير ينتشر ظلام اليأس ويخبو شعاع الذكاء . في ذلك اليوم بين المدن الفخمة والهياكل الصاعدة والمصانع الخرساء والجبال السابحة فوق الماء والقضبان الممتدة بين الارض والسماء يمر ذلك السيد الفاني كالغريب لا يكاد يفهم ولا يتذكر ولا يحس . انسانية بلا الم عام اشباح يخيف لو بقي من يفهم معنى الخوف وهكذا يثقل النعاس عينيه ويخدر شيئاً فشيئاً الى هاوية نومه الابدي ومن اعماق الظلام الخيم على مسرح الانسانية الخالي لا يبقى من صوت يصعد نحو اللانهاية لا حس ولا حركة لا صلاة ولا انين . الاعمال العظيمة احلام الابطال همة الجبابرة جهاد العقول غليان الشباب الحب

كلهُ يدرج في الكفن ويطوى تاريخ الانسان بكلماتٍ ثلاث : عاش وتألم ومات والارض الشاهد الوحيد هذه المأساة رفيقةُ الازلي امهُ التي احتضنتهُ تبقى بعدهُ زماناً طويلاً جثةً باردة تسبح في لجة اللانهاية

***

«لاهاي» هل صوتٌ يجوك يُسمعُ هيهات ما لاهاي الا بلقعُ
لم ينفع القصر الذي شيدته وكذاك أحلامُ الورى لا تنفعُ
جمعتهمُ الاطماع نيكِ فذمأوا قالت لهم اطماعهم لن تجمعوا
ما ابدعَ السلم الذي حلموهُ لو وقفوا على تحقيقهِ ما أبدعوا
زرعوا الكلام فاحصدت واصبحوا السيف يحصد فيهم والمدفعُ
في يقظة طاحت بها اعمارهم فكأنهم فتحوا العيون ليهجعوا
علقت بهم نار الجحيم فاصبحوا سُعّارها لا يشبعون وتشبعُ

***

في ذمة الرحمن كل سميذع يشي اليهِ من العدو سميذعُ
جهلوا القتال فعلّموهُ ولم أكن من طيبهم سفك الدماء فطبّعوا
النازلون من الخنادق حيث لا نسم يهب ولا شعاع يسطعُ
يحمي حماها كل اروع باسلٍ ويظل من بغتاتها يتفزعُ
رجم وألغام وسيل لاهبٌ وأشعة تعمي وغاز يصرعُ
الماخرون الجو فوق سوابحٍ تجري بامرتها الرياحُ الاربعُ
من كل ثابتة الجناح أزيزها متواصل وبريقها منقطعُ
تسري وتنفجر القنابل حولها شهباً بها ثوب الفضاء يرصّعُ
الراكبون على البحار صواعقاً كم ضيعت منهم ولم يتضعضعوا
النافضون جبالها وثلوجها لا يطمئن بهم عليها مضجعُ
الذاهبون ولا رجاء العائدو ن ولا شفاء السابقون النُّبّعُ

***

يا للهجوم وقد دعا داعي الردى فمشوا اليهِ والأسنّةُ شُرّعُ
بجحافلٍ تُزجى وراء جحافل وفيالق زُرَّ الفيالق تدفعُ
عادت بهم انجادُها فكأنهم سربٌ من العقبان سودٌ جوّعُ

صدئتهم قلّ السعير تصبها قلّ الحديد فلا تقيهم أدرعُ
بقتهم من خلفهم وامامهم نيرانها فتفرقوا وتجمعوا
متسابقين وليس منهم سابقٌ متراجعين وليس عنها مرجعُ
في مأزق لموت لكرهم به رهج الخميس وأرؤسٌ تتقطعُ
حتى اذا انقشع الهجاج ولم يعد الاصدى ذاك الضجيج يرجعُ
طلع الهلال عليهم فاذا هم عدم فظيع أو وجود أفظعُ
الارض قابضة البطون تراحم الـ ـموتى بها فهمُ وقوف رُكّعُ
فكأنهُ يوم القيامة فيهم أو انهم قبل القيامة قد دعوا

∴

يا ارضُ اي رواية مثلثها علمت فيها الناس ان يتوجعوا
هذي كنوزك اصبحت حمماً بها يركان صدرك ثائر يتصدعُ
أمللت حمل الساكنين فقلت آهٍ فيهم كفى ما بالرجود تتعوا
أم شاقك الثوب القديم جررته لمّا قذفت الى قديميّ ارجعُ
فاراً يسيل بي الفضاء وليس لي مهج تسيل ولا عيون تدمعُ

∴

هل تبعثين مع الربيع معزيًا للناس يُنسي ما به قد رُوّعوا
فيعود وجهك ضاحكاً متهللاً ويعود زهرك في الربى يتضوعُ
ويعود للأغصان طيرك آمناً يتلو سراحة عليك ويسجعُ
ام تبعثين فدائفاً وقنابلاً لا تقنعين بها ولا هي تقنعُ
فيظل صدرك بالنجيع مخضباً ويظل وجهك بالخداد يقنعُ
انّا سقيناكِ الدماء زكيةً فاذا الربيع الى سقتك الأدمعُ

∴

يا ايها الانسان ماذا تصنعُ قدكنت أنشد أريحيّة فيما تطمعُ
هدمت يداك اعز ما شيدتهُ ماذا الذي من هدمهِ تتوقعُ
علمتَ بالعلم الحياة وانهُ سيف على الحدين ماضٍ يقطعُ
أعطاك ما اعطى سواك فصارعٌ يوماً و يومًا مثل غيرك تصرعُ
انا لا اصدّق ان مجدك زائل انا لا اصدّق ان ملكك يُخلعُ

ان كنت ذا جهل فعلمك واسعٌ او كنت ذا بغض فحبك اوسعُ
لحب نورك في الوجود فان نأى عن مطلع ادناك منهُ مطلعُ
كم ضيعتكَ الحادثاتُ بليلها ثم اهتديت به فلستَ تُضيَّعُ
ارفعْ حجاب البغض عنك و بعده عمّ السلام على ربوعك يُرفعُ
ان تمنع الاخلاق عنك دوامهُ فشرائع الاعمار ليست تمنعُ
الحب حق للوجود مقدس تتزعزع الدنيا ولا يتزعزعُ

الدكتور نقولا فياض

مصر منذ تسعين سنة

(٨)

قصر محمد علي باشا في شبرا

ورجعت من جزيرة الروضة الى منزلي فرأيت منصور القبطي وزوجتهُ قد عنيا بترتيب الامتعة والغرف وتنظيفها . اما الجارية فكانت مستلقية على الديوان والخادم البربري يدخن في صحن الدار والدجاج تسرح حولهُ وهي تلتقط الحبوب . واما مصطفى الطباخ فخرج في غيابي ولم يعد وقد توهم اني احضرت القبطي بدلاً منهُ فاصحب من تلقاء نفسهِ وهي عادة جارية هنا متبعة بين الخدم ولذلك يتناولون اجورهم يوماً فيوماً فاضطررت ان اكلف القبطي وزوجتهُ الاهتمام بالطبخ ولكني علمت في المرة الاولى انهما يجهلان هذه المهنة جهلاً تاماً ولا يعرفان منها سوى سلق الخضار والحبوب وطبخها بالماء والزيت حتى ان الجارية نفسها لما ذاقت الطعام الذي طبخاهُ اشمأزت نفسها وامتنعت عن الاكل واشتد بها الغيظ واوسعتها سباً وشتماً . فاستأت جداً من عملها هذا واهانتها العجوزين المسكينين اللذين توليا امر الخدمة واراحاها من عناء العمل في كل الشؤون المنزلية فقلت لمنصور ان يفهمها ان دورها جاء لتتولى بنفسها امر الطبخ فكان هذا الطلب غير المنتظر كصاعقة سقطت عليها فثار سخطها واشتد غيظها واوسعتنا كلنا لوماً وتقريعاً والتفتت نحو منصور وقالت لهُ

قل لسيدي اني لستُ « أودالك » بل « قادن » وفسر لي منصور معنى كلامها اي انها ليست خادمة بل سيدة وقالت ايضاً انها ستشكوني للباشا . فصرختُ مغضباً

التهدولي ... وما دخل الباشا في اموري البيتية . اشتريت جارية لتقوم بخدمتي المنزلية وهذا الامر غير ممنوع في قوانين البلاد

فقالت انها مسلمة ولها الحق ان تطلب من الباشا ان يطلق لها الحرية اذا كان من اشتراها يرهقها ظلماً و يقسرها على عمل اعمال حقيرة . وقال منصور لي ارى انها مصيبة في زعمها واسمح لي يا سيدي ان اقدم لك مشورة صادقة — لا تجرح عواطفها والاَّ فلا يتسنى لك ان تعيش معها براحة وهناء ووفاق

فرأيت ان مشورتهُ هذه لا تخلو من الفطنة والصواب فقلت لهُ قل لها اذاً اني لم اقصد سوى المباسطة والمزاح . ولكنها اخطأت كثيراً في اظهارها الحدة والغيظ وتوجيهها لك ولزوجتك الاهانة والفاظ السباب وانهُ يجب ان تعتذر عما بدر منها محوكا وتظهر الاسف على ما فرط منها من الخفة والطيش

فترجم لها كلامي كما لا اشك ترجمة يؤخذ منها عكس المراد اي انهُ هو نفسهُ يترضاها ويطلب منها الاعتذار . لاني رأيتها تبسمت سروراً وضحك وجهها بشراً

فعلمت بعد فوات الوقت وحيث العلم لا يفيد شيئاً والندم لا يجدي نفعاً اني اخطأت كثيراً في مشترى هذه الجارية الغريبة عني وطناً ولغة وجنساً وآداباً . ورأيت رغماً عني انهُ يجب ان ارضخ لحكم القدر كما يقولون واتحمل نفقات باهظة ربما ارزح تحت ثقلها . عجباً من احوال مصر الغريبة تركت الفندق واستأجرت منزلاً خصوصياً رغبة في الاقتصاد وراحة المعيشة وحتى يتسنى لي الاختلاط بالقوم . فلم يسمح لي بالاقامة فيهِ الاَّ اذا كان عندي امرأة معها كانت حالتها . قصدت الزواج فقيل لي يجب ان ترتبط بهِ ارتباطاً دينياً ومدنياً كل ايام حياتك وتدفع مهراً فوق طاقتك . ثم اضطررت ان اشتري جارية غريبة عني وبيني وبينها فرق شاسع في العوائد والاداب لا اعلم كيف اكلمها او ماذا اطعمها او اي زي ألبسها او اي طريقة اسلك معها . واضطررت لاجلها ان انفق نفقات باهظة لفرش البيت واستئجار طباخ وخادم وبربري وكل ذلك لكي اقتصد في نفقات الفندق مع ان نفقاتي الحاضرة بلغت حداً عظيماً زعزع مالي . واخيراً قلت لمنصور ان يهتم بامر اعداد الطعام الى ان نجد طباخاً موافقاً وان يقول لزينب انها لما كانت « قادن » اي سيدة رفيعة المقام تأنف عمل اعمال حقيرة فيجب عليها ان تتعلم لغتي الفرنسوية وتأخذ كل يوم درساً حتى يمكننا التفاهم معاً

فاظهرت الارتياح والسرور من هذا الطلب وفي الحال بدأت اعلمها الحروف الهجائية

والقنها بعض اسماء وجمل كثيرة الاستعمال فاظهرت الرغبة في الدرس الاَّ انها لم تكن تحسن النطق ببعض الحروف فكانت تلفظ الجيم زايًا . وكم كنت اضحك منها حينما كانت تقول « زي سوي سوفاز » بدلاً من « جي سوي سوفاج je suis sauvage » اي انا همجية متوحشة . علمتها هذه الجملة بقصد المزاح ولما فهمت معناها لم تظهر الغيظ بل بالعكس كانت تصفق بيديها فرحًا وتنادي منصور وتقول له وهي تضحك مسرورة « زي سوي سوفاز »

ولما اردت ان اعلمها كتابة الحروف رأيت صعوبة كبيرة في ذلك ومرة اخذت القلم وبدأت تخربش على الورق خطوطًا ودوائر غير منتظمة وقالت لمنصور . قل لسيدي اني تعلمت الكتابة فظنت بسذاجتها ان قد يمكن استخراج معانٍ من تلك الخطوط المخربشة

ولما رأيت حسن انقيادها ونشاطها في الدرس اردت ان اكافئها بقضاء بعض رغائبها ولكنها كانت كثيرة فطلبت اولاً حجرة من الحرير حتى تظهر « كهانم » لا كفلاحة وخادمة وطلبت ان تلبس حذاء اصفر « بابوج » ولكني رأيت هذا النوع من الحذاء يجعل منظر المرأة قبيحًا اذ تظهر رجلاها كبيرتين ضخمتين . ثم طلبت ثوبًا من حرير اخضر « بلك » وغير ذلك من المطالب على عادة النساء فوعدتها باني لا اغفل عن قضاء رغائبها هذه اذا رأيت منها طاعة وانقيادًا فاظهرت الرضاء والارتياح

وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبة مدام بونوم وقضيت بضع ساعات في المطالعة . ولما رجعت الى منزلي وصعدت الى الدور الاعلى نهضت زينب لاستقبالي وبدأت ترقص وهي تدور حول الغرفة وتصفق بيديها وتصرخ « الفيل الفيل . الفيل . يا عيني الفيل » . فدهشت كثيرًا وظننت ان قد مسها عارض جنون واختل عقلها فدعوت منصورًا وسألته عن هذا الامر المستغرب وماذا جرى لجارية فاجابني بعد ان سألها : ان ستي تريد ان تتفرج على الفيل . قلت واين هذا الفيل . قال في قصر الباشا بشبرا . قلت ومن اين علمت به . قال من الجارات . قلت وكيف اتصلت بهن . قال من السطوح والشبابيك . فلم ارَ من الفطنة ان احرمها من هذه الرغبة وقلت لمنصور ان يقول لها اني مستعد لاتمام رغبتها مكافأة لها على ما رأيته من اعتنائها واجتهادها في الدرس

وقصدت من جهة اخرى اغتنام هذه الفرصة للتفرج على قصر محمد علي وحدائقه

المشهورة وفي الحال استدعيت بعض الحمارة وركبنا وخرجنا من القاهرة واجتزنا بوابة كبيرة مصفحة بالحديد ومدعومة بجدران عالية وابراج شاهقة من عهد سلاطين مصر (باب الحديد) وعلى مقربة من هناك جسر فوق ترعة الخليج الناصري المحيط بالمدينة غرباً فاجتزنا فيه الى مروج خضراء في طريق تتخللها البحيرات والبرك حولها الرياض والحقول الخصبة والغياض وطريق شبراً من احسن متنزهات القاهرة وهي طويلة تمتد الى مسافة بضعة اميال غرباً الى مجرى النيل الاعظم وعلى جانبيها اشجار الجميز الضخمة تظلل اغصانها الكثيفة تلك الطريق وتلطف حرارة الشمس المحرقة وبين كل مسافة واخرى قهوات ومتنزهات على الجانبين في وسط حدائق غناء ومروج خضراء وبساتين فيحاء . وفي مساء ايام الاحاد ترى هذه الطريق غاصة بالمتنزهين والمتنزهات واكثرهم من الافرنج والارمن والارورام والسوريين . والنساء منهن لا يرفعن الحجاب عن وجوههن الا متى عرجن على الحدائق فيجتمعن فيها زرافات تحت ظلال الشجر . ورأيت متنزهات شبرا من احسن متنزهات العالم . فاشجار الجميز والابنوس والصفصاف والكافور متصلة بعضها ببعض على الجانبين حتى الترعة الشبراوية . شبرا البلد والمروج من الجانبين خضراء زمردية مزروعة قصب سكر وذرة . ومن اليسار على مسافة ميل حدائق وبساتين زاهرة تتصل بضفة النيل الشرقية

وعند منتصف الطريق « كازينو » في داخل بستان مغروس بالاشجار المثمرة وفيه بركة وفساقي جميلة تفيض منها المياه بشكل بديع وخرير مطرب ينعش النفوس ويشرح الصدور . وحول هذا البستان حقول الرز والذرة وقصب السكر . ويؤم هذا المتنزه البديع كثيرون من اهالي القاهرة وبينهم ضباط وباشاوات مشاة وركباناً . والنساء يجلسن تحت ظلال الشجر زمراً زمراً مع اولادهن

وعلى مسافة قريبة من هناك سور عالٍ يمتد مسافة ميل داخلهُ قصر عظيم جميل البناء وحولهُ حدائق غناء تزري بحدائق قصر اللوفر في باريس . وهذا القصر لمحمد علي باشا حاكم مصر الآن . فاذن لنا الحاجب في الدخول الى الحديقة ورأينا داخلها فيلاً ابيض معروضاً للفرجة . وهذا الفيل النادر الوجود اهدتهُ الحكومة الانكليزية الى محمد علي باشا مقابل اثر تاريخي او مسلة قديمة اهداها لها . فاظهرت زينب السرور والفرح عند ما رأت هذا الفيل الابيض حتى انها لم تمالك ان تصفق يديها جذلاً كأنهُ بذكرها بفيلة بلادها . وكان حول نابيهِ حلقات من الفضة وحارسهُ الهندي يروضهُ على حركات والعاب مختلفة

فاتى بحركات معيبة لم ارَ من اللياقة ان تمثل امام النساء واشرت الى زينب ان قد انتهت الفرجة فلتتبعني . وكان بين المتفرجين احد الضباط او الحرس فصرخ بلغة ايطالية سقيمة آسبتاتي سنيوري «انتظر يا خواجا» هنيهة اخرى فان هذه الالعاب تنبسط لها قلوب النساء . فاجبته باللغة الفرنسوية وتكون شركاً لاخلاقهنَّ الساذجة ومفسدة لآدابهنَّ . ويظهر انهُ لم يفهم مغزى كلامي وما فيهِ من التعنيف فضحك مقهقهاً وضحكت النساء لضحكهِ

ثم خرجنا من هناك واستأذنا في التفرج على القصر ولما كان رفتئذٍ خالياً والباشا مقيم في قصر القلعة سمح لنا بالدخول

وهذا القصر بمثابة مقصف بديع الشكل ليس فيهِ شيء من ضخامة البناء وفخامة المنظر وهو من طبقتين ارضية وعلوية فالارضية « سلاملك » والعلوية لسكنى حرم الباشا وهو قائم على ضفة النيل مقابل سهول امبابه المشهورة بنكبة المماليك . فالطبقة الارضية بهيئة كشك بديع جميل المنظر باعمدة من رخام وداخلهُ مخادع وغرف وقاعات كثيرة فسيحة مزخرفة فاخرة الرياش منها ما هو مأوى للطيور والعصافير النادرة كالحجل والببغاء والدرة والكناري والطاووس . ومنها مخادع للغسيل والحمامات . ومنها قاعات للالعاب الرياضية والبلياردو . اما مخادع الاستقبال والنوم والاستراحة فمفروشة بافخر الرياش والمقاعد الحريرية والاسرة والكراسي المذهبة وفيها من الفخفخة والابهة ما هو حقيق بسكنى الامراء والملوك . وجدرانها مزخرفة بالنقوش والمرايات الكبيرة وصور الفياض والبحيرات والرياض والغابات من ريشة امهر المصورين الاوربيين . وبالاجمال فكل الجدران والسقوف مزخرفة بمناظر طبيعية بديعة من انهار وغيل واشجار وبحيرات ومراكب تائهة شراعها في الفضاء الاَّ انهُ ليس بين تلك الصور صورة انسان واحد . وبين تلك الصور رسم بحر يعجُّ بالسفن الحربية وعليها الاعلام العثمانية واليونانية تمثل المعركة البحرية التي قام بها الاسطول المصري في الثورة بقيادة ابرهيم باشا . ومن الغريب ان ليس في تلك المعركة صورة آدمي واحد كأن المراكب والمدافع كانت تتحرك وتطلق القنابل من نفسها

وبين هذه المخادع قاعة كبيرة للاستقبال مفروشة بافخر الرياش جعلها الباشا مقرَّاً للاحكام فيجلس فيها للحكم في ايام مخصوصة ولسماع شكاوي الناس وفي صدرها لوحة كبيرة مكتوبة فيها آية حكمية بحروف عربية جميلة مذهبة

ثم جلت في تلك الحدائق النضرة والبساتين الزاهرة وهي على اقسام مختلفة بديعة الترتيب والوضع والتنسيق غرست على الطرز الايطالي يعنى بحفظها وغرسها وتنسيقها بستانيون ايطاليون . فدخلنا اولاً الى بستان الورد وفيه كل اصناف الورد في العالم . وفي الفيوم ايضاً بساتين كثيرة للورد العطري الرائحة يستخرج منهُ مقادير عظيمة من عطر الورد ومن ورد شبرا تعمل المربيات والمشروبات الوردية . وقد تلطف بستانيهُ وقدم لنا صحفاً من الورد بديعة التنسيق

ثم دخلنا الى بستان البرتقان والليمون والاترج ولقد امر الباشا ان يترك قسم كبير من هذا الثمر على الشجر بدون قطف حتى يتمتع الزائرون والمتنزهون بمنظر هذا التفاح الذهبي وهو على اغصانهِ . ويباح لكل انسان ان يلتقط ما يتساقط منهُ تحت الشجر . وهناك شجر الموز كعنقود كثيفة واقراطها الكبيرة دانية القطوف . ثم اشجار المشمش والتفاح والرمان والخوخ والبرقوق وغيرها من الاشجار المثمرة وماشي الحدائق مسقوفة بالعرائش ودوالي العنب تتدلى منها عناقيدها المختلفة الاجناس والالوان

واما حدائق الزهور ففيها كل انواع الزهور ذات الرائحة الذكية كالنرجس والفل والريحان وفيها كثير من الازهار الاوربية النادرة داخل كشكات ومقاصف ومقاعد حولها الفساقي والبرك الرخامية وقناورات المياه مظللة بالاشجار والنباتات المتعرشة عليها الرياحين والياسمين

وفي آخر هذه الحدائق وراء القصر كشك من المرمر بديع الصنع حولهُ قصارى النباتات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيباً بديع الشكل كأنها هرم من الرياحين والزهور . ولا اظن ان قصر هارون الرشيد في بغداد وبساتينهُ الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة احسن واجمل من هذا القصر ومقاصفهِ وحدائقهِ الغناء . وعند الجناح الغربي على ضفاف النيل كشك آخر مخصص لنزهة الباشا وحرمهِ لا احد يقترب منهُ . وفيهِ بركة عظيمة من الرخام الابيض للاستحمام والساحة على دائرها اعمدة من المرمر وفوق كل عمود تاج منقوش بابدع النقوش والزخرفة على النسق البيزنطي . وفي وسط هذه البركة العظيمة تماثيل تماسيح مرمرية تخرج قناورات المياه من افواهها والبركة مسقوفة برخام منقوش تتدلى من وسطهِ وجوانبهِ كريات ومصابيح غازية ضمن زجاج مختلف الالوان تنعكس اشعتها على مياه البركة ليلاً فيأخذ بمجامع القلوب . وفي البركة قارب صغير بديع الصنع مموَّه بالذهب مع مجاذيفهِ لنزهة الباشا وسراريهِ

— العقاربت وعلاجها —

يصعب على الاجنبي ان يحكم على آداب المرأة الشرقية واخلاقها من معاشرة امرأة واحدة ومع ذلك فان ما حدث لي مع جاريتي وجاراتها اللواتي تعرفت بهن من السطوح والنوافذ جعلني ان احكم حكماً عمومياً على اخلاق المرأة المصرية وعوائدها الداخلية

في احد الايام رجعت الى منزلي وصعدت الى غرفة زينب فرأيت فيها ما جعلني في اشد الدهشة والاستغراب . رأيت عجاذل البصل الاخضر معلقة بكثرة على الجدران والاركان وفوق الباب والنوافذ حتى فوق سرير النوم فاستغربت هذا الامر ولا اعلم اذا كان هذا البصل الكريه الرائحة يقوم عند جاريتي مقام طاقات الزهور والورد وهو ليس بحسن الشكل حتى يوضع في المخادع للزينة . فظننت في بادىء الامر انها فعلت ذلك من قبيل تلاهي الصغار . فبي الحال نزعت كل هذه الجدائل والقيتها من النافذة الى حوش الدار وحينئذٍ استفاقت زينب من القيلولة ولما رأتني انزع البصل والقيه من النافذة باحتقار نهضت وقد اشتد بها الغيظ والحنق كليوبترة فقدت اشيالها واوسعتني شتماً وسباً ثم تقوّل غيظها الى بكاء ونحيب ونزلت الى صحن الدار تلتقط البصل المتناثر ودموعها تهطل على خديها ثم صعدت وعلقت البصل كما كان ولسانها لا يكف عن شتمي ولكني لم افهم ما هي انواع السباب سوى كلمة واحدة طرقت سمعي وقد كررتها مراراً وهي « فرعون » فما معنى فرعون في قاموس السباب ؟ فاستدعيت في الحال منصوراً وقلت له ان يسأل زينب عن سبب تزيين غرفتها بجاذل البصل وما قصدها من ذلك . فاجابت وهي لا تزال تنتحب ان البصل الاخضر يجلب السعد ويطرد العقاربت من البيت ويبعد المصائب عن اهله واني بعملي هذا طردت الخير والسعد وجلبت عليها وعليّ انواع الشرور والشؤم . وقال لي منصور ان تعليق البصل في البيوت عادة شائعة في كل بلاد مصر جلباً للسعد ووقاية من الشرور والمصائب . فقلت له حقيقةً ان البصل كان منذ القدم من آلهة المصريين الاولين فاذا كنت اهنت هذا الاله فاني ساسعد لترضيته وطلب السماح منه . ولكن ذلك لم يقنع جاريتي والحّت عليّ ان لا امس البصل بسوء . فسألت منصور عن معنى كلمة « فرعون » التي كررتها في ابان غيظها فقال لي انها بمعنى ظالم او كافر . فلم اتمالك حينئذٍ من الضحك والقهقهة . واعجباه لم اكن اعلم قبل الآن ان اسم الملوك المصريين القدماء اضحى في هذا الزمن مسبة وعاراً

وتم الاتفاق بيني وبين الجارية على ان لا تكثر من وضع البصل في غرفة النوم غير ان الاوهام تسلطت على عقلها منذ نزعتُ البصل واعتقدت ان ذلك كان شؤماً عليها وانهُ لا بد ان يصيبها مكروه وفعلاً فانها اصيبت مساءً بحمى شديدة جعلتها طريحة الفراش وعبثاً حاولت ان اقنعها باتباع مشورة الطبيب وشرب الادوية التي وصفها ولم يزدها الخاص عليها الاَّ عناداً حتى اشتدت عليها وطأة الحُمَّى وصار يخشى على حياتها

وفي اليوم الثالث صعدت الى غرفتها ورأيتها هادئة وقد تركتها الحمى . وعند راسها امرأتان تتمتمان بكلام غير مفهوم وتقرعان طبلاً امامها ولما سألت منصوراً عنهما قال لي ان جارةً استدعتهما لزينب لكي تخرجا العفاريت منها . فقلت وما هي هذه العفاريت قال هي ارواح الشر ومصدر المصائب ثارت غضباً وسخطاً على زينب لانها اهملت البصل ونزعتهُ باحتقار من غرفتها وقال ان العفاريت نوعان الاخضر والاصفر والاخير اشد شرًّا وضرراً

ولما رأيت ان مرض الجارية عقلي وهميّ لم ارَ بأساً من ان تعمل لها وسائط وهمية لشفائها حسب اعتقادها . وكانت احدى المرأتين كما قال لي منصور ذات شهرة واسعة بين النساء المصريات في اخراج الارواح الشريرة وطرد العفاريت وشفاء الامراض العضالة بطريقة تعرف عندهن بالزار . فاخذت المرأة كانونًا واشعلت فيهِ الفحم وذرَّت على النار بعض قطع من الشبّ حتى امتلأت الغرفة من الدخان وقال منصور ان العفاريت لا يمكنها ان تلبث في المنزل وفيهِ هذا الدخان الكثيف ثم اخذت المرأتان الجارية ووضعتا وجهها فوق النار وكانت احداها تقرع على ظهرها وتنشد نشيد طرد العفاريت والاخرى تضرب طبلاً . ولما انتهت الحفلة اضطررت ان ادفع للمرأتين اجرة العيادة او بالحري اجرة طرد العفاريت

ولما كان مرض زينب وهميًّا فهذه الواسطة الوهمية جعلتها تعتقد بالشفاء وفعلاً فانها في صباح اليوم التالي نهضت من فراشها معافاةً ومشددة القوى غير انها طلبت مني ان اسمح لجارتيها خاتون وزبيدة ان يأتيا لزيارتها في كل يوم بقصد التسلية فلم ترَ في نظري هذه العشرة المفسدة الاخلاق فصرفتهما بالحسنى واوصيتها ان لا تشرفا بعد الآن الاَّ متى دعوتهما عند عودة العفاريت مرةً اخرى

وبعد مضي شهرين رأيت ان هذه المعيشة الشرقية بين جارية كثيرة التطلب والرغائب وبين خدم يخدعونني في مشتري الحاجيات الضرورية زادت نفقاتي زيادة شعرت فيها

بنقصان ماليتي نقصاناً كبيراً وخشيت ان لا تعود دراهمي كافية لاتمام سياحتي في سوريا ولبنان فعزمت ان اقصر مدة اقامتي في القاهرة . وبعد بضعة ايام قلت لزينب اني عزمت على السفر وذكرت لها الاسباب التي دعتني لذلك . وفي الختام قلت لها واما انت فانت شئت الاقامة بمصر فاني اهبك الحرية . فاجابتني جواباً لم اكن انتظره من جارية اسيرة وقالت لي بحدة وغضب . تهبني الحرية ؟ وما تفيدني هذه الحرية ارجعني الى وكالة « الجلابة » وبعني كما اشتريتني . قلت ولكن الا تعلمين يا عزيزتي انهُ من العار ان يبيع اوربي امرأة ويقبض ثمنها . فبدأت تبكي وتنتحب وقالت وانا ماذا اصنع والى اين اذهب . فقلت لها ادخلي الى القصور بصفة خادمة عند احدى السيدات فاظهرت الغيظ والانفة وصرخت . امثلي تكون خادمة في البيوت للكنس والغسيل في المطابخ ؟ كلاَّ والف كلاَّ ارجعني الى السيد عبد الكريم وبعني لهُ فربما يسعدني الحظ فيشتريني احد الضباط او الحكام واكون عندهُ بصفة « قادن » لا خادمة

أليس من الغرابة ان الجواري في مصر يفضلن الاسر على الحرية ؟ ورأيت بعد انعام النظر انها مصيبة في قولها فاذا تفيدها الحرية ؟ هل القيها في الشارع ؟ وعدا ذلك فهي تجهل امور الطبخ والخدمة البيتية ولا تعرف ان تعمل عملاً فاذا اطلقتها الا تكون عرضة لفساد الخلق والآداب . وألا اكون انا بنفسي سبباً لسقوطها في بؤرة الشرور وقيادتها الى اماكن الفساد ؟ ومن جهة اخرى تمنعني ادابي ان ابيعها قلت لها

اذا كنت لا تودين البقاء في مصر فيجب ان اتبعيني الى بلادي . فاظهرت السرور وصفقت بيديها فرحاً وصرخت . « أيوا انتَ وانا سوا سوا » . فسألت منصوراً عما اجابت فقال . تقول انها ستتبعك الى حيث تريد ولا تفارقك

ولما رأيت ان لا مفر من اخذها معي الى سوريا ذهبت في اليوم التالي لزيارة قنصلي واعلمتهُ بعزمي على السفر ورجوت منهُ ان يسهل لي الوسائط فارسل معي احد القواصة الى مينا بولاق وهناك استأجر لي مركباً نيلياً يقلني في النيل الى دمياط وهي اقرب مرفإ بين مصر وسوريا

ديمتري تقولا

معركة جتلند البحرية

سميت المعركة البحرية التي جرت بين الاساطيل الانكليزية والالمانية في آخر مايو الماضي معركة جتلند او جيلند وهو اسم المقاطعة الشمالية من بلاد الدنمرك التي جرت المعركة بازاء ساحلها الغربي . وقد سميت باسماء اخرى لا حاجة الى ذكرها . ووصفها بعضهم بانها اعظم معركة بحرية ذكرت في التاريخ . ولكننا لا نرى في هذا الوصف تعظيماً لها فان اعمال الاقدمين في البر والحرب ليست شيئاً مذكوراً في جنب اعمال المتأخرين الا ما كان منها كالاهرام والجنائن المعلقة وصنم رودس مما اضاعوا عليه جهدهم ووقتهم سدًى ومما لا يعبي انسان هذا الزمان امره لو رام الاتيان بمثله . هذه معركة ترافلغار او طرف الغار التي تغلّب بها الاميرال نلسون على الاسطول الفرنسوي في اوائل القرن الماضي . فانها اعظم معركة بحرية عرفها الناس حتى ذلك العهد ولكنها لا تذكر بازاء المعركة التي نحن بصدد الكلام عنها . وسفنها وسلاحها بالنسبة الى البوارج الحديثة والسلاح الحديث كالخارجي التي يلهو بها الصبيان

ادق وصف لمعركة جتلند او لمعركة البحر الشمالي الكبرى كما سمتها احدى الصحف الانكليزية ما نشرتهُ مجلة غلاسجوهرالد الانكليزية . ويستدل من قراءته على انهُ مكتوب بقلم غير واحد من الخبيرين بالشؤون البحرية . وهو مبيّن بالرسوم الواضحة كما يرى فيما يلي . وقد قسمت فيهِ المعركة الى خمسة ادوار سميت اوجهاً تشبيهاً لها باوجه القمر وهاك بيانها

الوجه الاول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ من مساء ٣١ مايو

كانت طرادات القتال في اسطول الاميرال بيتي الانكليزي مؤلفة من الطرادات ليون والبرنسس رويال وكوين ماري وتيجر وانفنكسبل واندومتابل وانفنسبل واندنتيجابل ونيوزيلند . والاربعة الاولى منها من طرز سوبر دريدنوط اي اعظم من طرز دريدنوط . والخمسة الباقية من طرز دريدنوط . وكانت تمخر جنوباً بشرق ز انظر شكل ١) تتبعها اربع بوارج من طرز كوين اليزابث وهي سوبر دريدنوط كما هو معلوم واسماؤها برم وفلياند وورسبيط وملايا

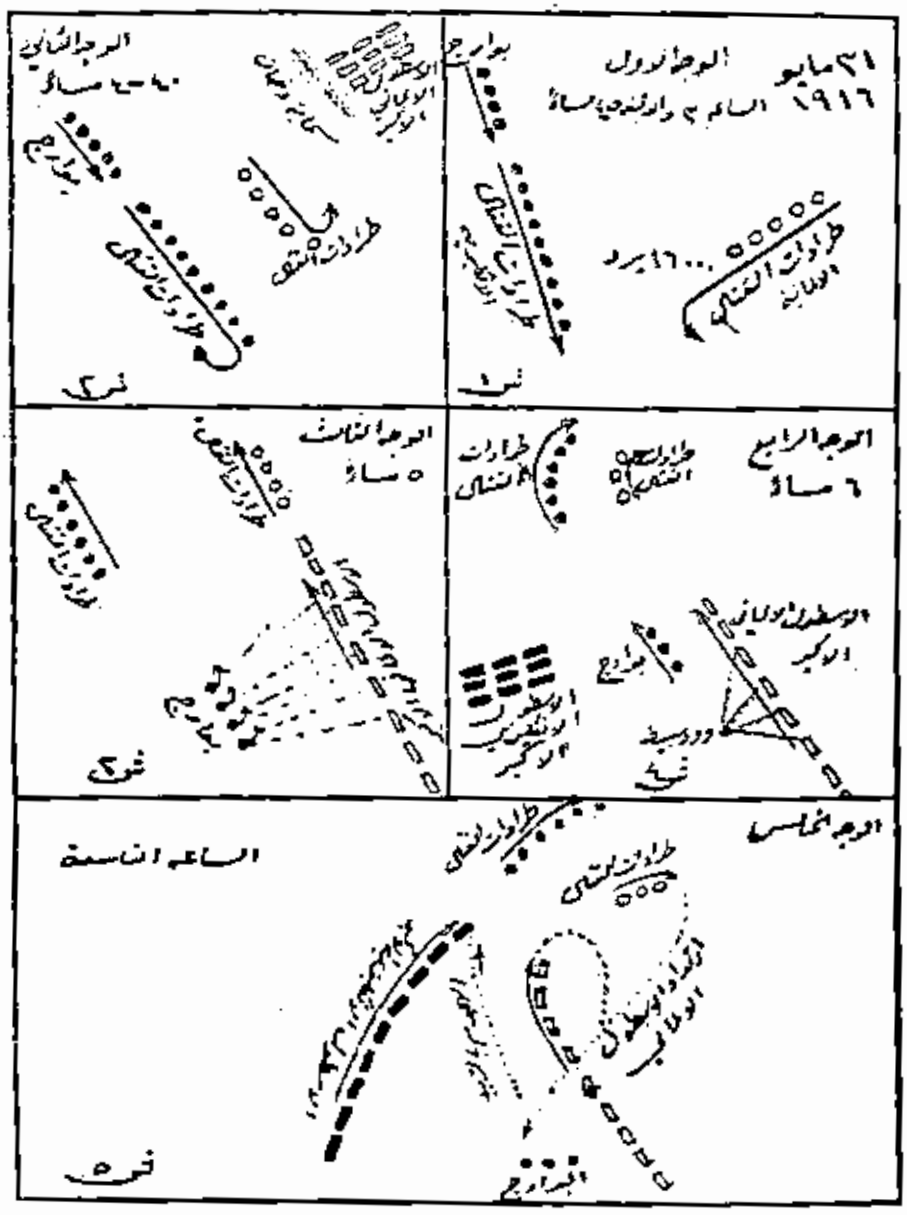

تفصيل معركة جتلند البحرية

الدوائر والمستطيلات السوداء للانكليز والدوائر والمستطيلات المفرغة للالمان

مقتطف سبتمبر ١٩١٦

امام الصفحة ٢٥٦

لم يكن الا القليل حتى رأت هذه المدرعات طلائع الاسطول الالماني وكانت مؤلفة من الطرادات الخفيفة تتبعها خمسة من طرادات القتال هي هندنبرج وسدلتس ودرفلنجر ولتزوف ومولتكي وهي تجري جنوباً بغرب . وربما كانت معها طراد سادس هو الطراد سلاميس

فبدأ الاميرال بيتي اطلاق النار على بعد ٢٠ الف يرد (١٠ اميالاً) ثم قصر مجال النار الى ١٦ الف يرد (٩ اميال) بتداني الاسطولين وكان الالمان يرون الاسطول الانكليزي بجلاء على دياجة الجو الصفراء اما هم فلم يُرَوا بوضوح اذ كانت تُقشاهم ضبابة من الضباب وكانت البوارج الانكليزية (التي من طرز كوين اليزابث) تطلق نارها واحدة بعد اخرى على الاسطول الالماني كما بات ضمن مرماها . فلما صارت المسافة بين طرادات القتال من الاسطولين ١٦ الف يرد انقلبت الطرادات الالمانية من السير جنوباً بغرب الى الشرق حتى صار البعد بينها وبين الطرادات الانكليزية ٢٠ الف يرد

الوجه الثاني

الساعة ٤ والدقيقة ٤٠ مساء

وفي هذه الساعة لاحت سحابة دخان خلف الطرادات الالمانية . ذلك ان الاسطول الالماني الاكبر الملقب بالانكليزية « هاي سيزفليت » اي اسطول عرض البحار اقبل لنجدة اسطول الطرادات وارسل امامهُ اسطولاً من الناقلات حجاباً بينهُ وبين اعدائهِ وكان يرى مترامياً الافق الشمالي الشرقي وزاحفاً في ثلاثة صفوف . وحينئذٍ دار اسطول الطرادات الالمانية وسار شمالاً بغرب ووقف بين الاسطول الانكليزي والاسطول الالماني الاكبر . وبذلك وقف الاسطول الالماني كلهُ امام اسطول الاميرال بيتي . وكان اسطول الاميرال جليكو لا يزال بعيداً عن ساحة القتال (شكل ٣)

وكان الاسطولان المتعاديان يجريان الآن متوازيين ولكن في جهتين مختلفتين فالالماني يجري شمالاً بغرب والانكليزي جنوباً بشرق . ولولا حركة بديعة اقدم عليها الاميرال بيتي لقطع الالمان خط الرجوع على اسطولهِ وفصلوهُ عن اسطول جليكو الاكبر . اما حركتهُ فهي انهُ حالما حذا الالمان فدار باسطولهِ مثلهم ولكن الى جهة مقابلة وبذلك بقي موازياً لهم ومتجهاً اتجاههم اي سائراً في جهة واحدة معهم لا عكسهم كما كان اولاً . فمنع بحركتهِ هذه الالمان من فصلهِ عن جليكو واعدَّ لجليكو السبيل الى الالتفاف حولهم

وحالما تمّ حركتهُ الانقلابية وقطع « الدوران » سار باسرع ما يمكنهُ ليلحق الالمان ويتخذ لهُ مركزاً في نقطة يتقدم فيها عليهم . فتمكن من ذلك بفضل تفوق طراداته على طراداتهم في سرعتها . ولكنهُ قبل بلوغ نقطة الانقلاب فقد الطراد « انديفيجايل » اذ مرّ لغماً على ما يرجح . وكذلك فقد « كوين ماري » و« انفنسبل » عند نقطة الانقلاب حيث جمع اسطول الالمان الاكبر نارهُ . وكانت بوارج الانكليز التي من طرز كوين اليزابث قد فعلت بطرادات الالمان قبيل ذلك ما فعل اسطول الالمان الاكبر بطراداتهم . فانها جمعت نارها في نقطة انقلاب الطرادات الالمانية فدمرت طراداً حديث الطرز يظن انهُ الطراد هندنبرج . ولما اجتاز الاميرال بيتي نقطة الانقلاب اخذ يسير حذاء الاسطول الالماني والبوارج الاربع الكبرى تسير خلفهُ وهي تقاتل الاسطول الالماني الاكبر

الوجه الثالث

الساعة ٥ مساء

ثم دارت هذه البوارج الكبرى لتلحق باسطول الطرادات ولكن دورتها كانت في الجهة المقابلة لهُ . وفيما هي تفعل ذلك تعطلت دفة البارجة « وورسبيط » احداها فلم تدر فاصلتها ست من بوارج الالمان نارهن واطبقن عليها (شكل ٣) . وقد ادعى الالمان انها فقدت وواقع الامر ان القنابل التي اصابتها كانت كثيرة ولكنها لم تصب اصابة تعطّل سيرها بل تمكنت في آخر الامر من التحاق باخواتها بعد ان اغرقت بارجة المانية

وفي خلال ذلك دارت البوارج الثلاث الباقية فجأة لاجتناب نقطة الخطر حيث فقد الطرادان كوين ماري وانفنسبل وبقيت تقاتل الاسطول الالماني الاكبر « وتشاغلهُ » ساعة حتى وصل الاميرال جليكو الى ساحة المعركة . وانضمت البارجة ورسبيط اليهن نحو الساعة ٥ والدقيقة ٥ . ولم تصبن اصابات تمنعهن القتال وتمكن بتفوقهن على الالمان في سرعتهن من الابتعاد عن جانب من صف الالمان الطويل الذي كاد الافق ان يغصّ بهِ . وكن يطلقن نارهن على مدى ١٢ الف يرد الى ١٠ الفاً . فلم تأتِ الساعة ٥ والدقيقة ٤٥ حتى كنّ قد ابعدن عن مرمى نصف الاسطول الالماني الاكبر وهنّ مسرعات للانضمام الى اسطول الاميرال جليكو

وكان اسطول الطرادات الانكليزية قد بات محاذياً لاسطول الطرادات الالمانية

وسابقاً ايضاً فلما رأى الالمان ذلك تجنبوه بان داروا يميناً في زاوية قائمة لهذا الانكليز حتى هم . وتجدد القتال بين الاسطولين واخذ يشتد فقد الالمان حينئذٍ الطراد درفلنجر . ونحو الساعة السادسة خفت نار الالمان كثيراً فاستدل من ذلك على حسن بلاء اسطول بيتي باسطول الطرادات الالمانية

الوجه الرابع

الساعة ٦ مساء

وكان الاسطول الانكليزي الاكبر قد لاح في الافق يجري في ثلاثة صفوف (شكل ٤) فغيرت بوارج الاميرال بيتي الثلاث جهة سيرها ومالت نحو الاسطول الالماني لتفسح المجال للاميرال جليكو وتمكنه من صف بوارجه صفاً واحداً . فتم ذلك له بسرعة على صعوبته ووقف بين طرادات بيتي من الشمال وبوارج ايڤان توماس الثلاث من الجنوب وكان هذه البوارج لا تزال قاوية على القتال رغم ما اصابها من قنابل الالمان . ثم قصد جليكو ببوارجه طليعة الاسطول الالماني ليقطع السبيل عليه وكانت البارجتان رفندج ورويال اوك اول البوارج التي بادأته القتال بمدافعها من عيار ١٥ بوصة ثم البارجة اجنكور وهي مثلها قوة

وكان الاسطول الانكليزي كله يتحرك الآن في جهة الاسطول الالماني وعلى زاوية قائمة ليقطع السبيل عليه . ولكن النور كان قد اخذ يتضاءل ومع ذلك تمكن جليكو قبل سقوط الظلام واستيلاء الضباب من القضاء على الطرادات الالمانية الثلاثة التي في المقدمة

الوجه الخامس

في الظلام

وطارد الانكليز الاسطول الالماني ولم يكتفوه — جليكو من الغرب وبيتي من الشمال وايڤان توماس ببوارجه الثلاث (التي من طرز كوين اليزابث) من الجنوب (شكل ٥) . اما البارجة الرابعة ورسيبط فكانت قد اعيدت الى قاعدتها . وفي اثناء الليل هاجمت النسافات الانكليزية الاسطول الالماني فخسرت خسارة عظيمة ولكن بعد ان اغرقت سفينتين من سفن الالمان ثم اتضح للانكليز ان تلاؤم حركات اساطيلهم

الثلاثة بات متعذراً تحت جنح الظلام ولاسيما ان الالمان رأوا بانوارهم الكشافة اسطول الاميرال توماس على بعد اربعة آلاف يرد منهم جنوباً فاغتنموا هذه الفرصة وانسلوا بينهُ وبين اسطول جليكو ولم يتمكن جليكو من اطلاق النار عليهم لحيلولة السفائن الانكليزية بينهُ وبينهم

* * *

وكتب الاميرال ديوي الاميركي المشهور مقالة في جريدة « مهر بوّر » اي القوة البحرية بعنوان « عبر معركة سكاجراك — اهمية بوارج دريدنوط — ضعف طرادات القتال — نفع السفائن » قال فيها ما خلاصتهُ :

تلاقى اسطول عصري من الطبقة الاولى واسطول مثلهُ في ساحة القتال وكلٌّ منهما مجهز باحدث المخترعات والمكتشفات البحرية مما بني على النظريات دون العمليات . وقد كان يوم ٣١ مايو يوم التجربة والامتحان وستكون نتائجهُ ذات علاقة كبيرة باساطيل المستقبل في جميع البلاد . اما ما حدث في هذه المعركة فلا يزال مبهماً غير واضح حتى الآن ولكن يظهر لنا انهُ يمكن تلخيصهُ فيما يأتي

خرج الاسطول الالماني الى عرض البحر لتلمس فرصة ليضرب ضربة تكون على ما يروم ويشتهي . وكان الاسطول الانكليزي منتشراً على مسافة ثلاث مئة ميل في البحر الشمالي والنهار كثير الضباب لا ترى السفينة ما حولها الى ابعد من ستة اميال . وكان قصر المدى هذا في مصلحة الالمان لان اسطولهم كان مجموعاً عاقد العزم على القتال

وارسل الانكليز امام اسطولهم طليعة من السفائن وسفن الصيد للاستطلاع . وكان خلفها الطرادات السريعة وخلف هذه اسطول البوارج ليدعى اذا اقتضت الحال دعوتهُ . فاخبر الكشافة بوجود اسطول المالي في البحر امامهم فهبَّ اسطول الطرادات السريعة للقائهِ . ومعلوم ان هذه الطرادات لا تصلح لقتال بوارج دريدنوط وكان الانكليز يحسبون ان بوارج دريدنوط الالمانية لا بد ان تكون مهيأة للنزال ومع ذلك عقد الاميرال بيتي العزم على الوقوف في وجه الالمان ريثما يصل اسطول جليكو وفيهِ بوارج دريدنوط

والظاهر ان ثلاثة من طراداتهِ ضاعت في بدء القتال وهو يحاول الوقوف في وجه الالمان . وهذه الطرادات الثلاثة هي كوين ماري (طراد قتال من طرز سوبر دريدنوط)

والدريدنوطان اندفتيجابل والفنسبل . ولكن يظهر ايضاً انه قبل ضياعها احدثت الالمان خسارة لم يذهب بها ذلك الضياع سدى

ومغزى ذلك ان طرادات القتال وهي رقيقة الدروع لكي تبقى خفيفة لان السرعة مطلبها الاول ومدافعها الضخمة اصغر واقل من مدافع البوارج — لا يمكنها الاخذ والعطاء مع البوارج . وقد كان هذا الرأي رأي الخبراء البحريين من اولهم الى آخرهم حتى ايدته معارك سكاجراك . فان كوين ماري وهي طراد حمولته ٢٥ الف طن لم يصبر على نار قنابل الالمان بل غرق في اقل من نصف البصر

***

هذا هو الوجه الاول من المعركة وبعث غرق الطرادات المذكورة وصل اسطول البوارج الانكليزية بتقدمة البارجة ورسبيط وكان مؤلفاً من اربع بوارج . فانهالت عليه قنابل الالمان انهيال المطر واصيبت كل من بوارجه الاربع مراراً عديدة . وكانت اصابات ورسبيط ومارلبورو[1] اشدها خطراً واصيبت هذه الاخيرة بتوربيد الالمان . ومع ذلك كله لم تفرق احداها قنابل عادتا كلتاهما الى حيث ترمان . وقد قص ربان البارجة ورسبيط حكاية بارجته فقال ان دفتها تصدعت في اثناء القتال فباتت تخبط على غير هدى ولكنها خاضت المعمعان واجتمعت عليها قنابل الالمان فردت عليهم بنار حامية اطلقتها من مدافعها كلها . ومع كل ما اصابها لم تغرق بل خرجت من ساحة القتال متخنة بعد ان قامت بالمهمة التي صنعت البوارج لقضائها وبرهنت على صحة نظرية القائلين ببذل السرعة في سبيل الدروع الثخينة والمدافع الضخمة (خلافاً لما هو الحال في طرادات القتال)

ومما يستحق الذكر بوجه خاص عدم اغراق التوربيد لبارجة مارلبورو . واهمية ذلك ناشئة بان الجمهور كانوا يذهبون الى ان التوربيد آفة براوج الدريدنوط فلا يصيب توربيد بارجة الا اودى بها ولكن سلامة البارجة مارلبورو من التوربيد من شأنها ان تزعزع هذا المذهب

***

هذا هو الوجه الثاني من المعركة . اما وجهها الثالث فهو نزول سافات الفريقين الى

(١) اخطأ هذه الكاتب مثل كاتب المقالة السابقة في هوية البوارج الاربع فقد عدّ هذا البارجة مارلبورو مرتين ولم يعدد الاولى . والمعروف ان مارلبورو ليست من حوادث كونت الجزائر بل اقدم منها بسنة على انها ذكرت في بيان الاميرال جيلكو وعرف منه انها اصيبت بتوربيد الالمان

الميدان . فان السافات تراد لتكون حجاباً امام السفن الكبيرة ولتستطلع لها وكان الرأي حتى الآن انها لا تقوى على مهاجمة البوارج العظيمة في النهار بل تقضي مهمتها في جنح الليل او تحت الضباب . ولكن الالمان حلّوا عقال نساقاتهم في هذه المعركة نهاراً واطلقوها على سفن الاسطول الانكليزي . والمظنون ان نحو عشرين منها أُغرقت والمرجح انها لم تفز باغراق سفينة من سفن الانكليز التي من الطبقة الاولى . ولكن لا جدال في انها اوشكت ان تقضي على البارجة مارلبورو كما تقدم القول ولم يقل احد ان هجومها على البوارج الكبرى ليس مستصوباً من الوجهة الفنية

والمظنون ان الاسطول الانكليزي ردّ على الالمان باطلاق نساقاته وارسالها الى المزدحم لتعثر بين سفنهم . والثابت ان نحو ١٢ نساقة منها فقدت ولا نعلم حتى الآن مبلغ ضررها بالاسطول الالماني فلذلك لا نبدي رأياً في صحة ذلك المجموم او عدمها على ان ذلك يجب ان لا يُعمينا عن هذه الحقيقة وهي ان النساقات فعلت فعلاً كبيراً في القتال من اوله الى آخره حتى يصح القول انها برهنت على نفعها في معركة عظيمة كالتي نحن بصدد الكلام عليها

وختم الكاتب مقالتهُ بقوله ان هذه المعركة جاءت مصداقاً لرأي الخبيرين في دوائر اميركا البحرية من وجوب الاعتماد في بناء الاسطول الاميركي على البوارج الكبرى . ثم ان وجود امثال هذه البوارج في الاسطول الانكليزي هو الذي مكّن انكلترا من حصر المانيا وحلفائها بحراً من غير ان تطلق رصاصة

على ان هذه المعركة لا تُعلّمنا شيئاً عن قيمة المدافع على اختلاف مراتبها من صغيرة الى كبيرة . فان معظم القتال دار والسفن متقاربة فلا يقتضي ذلك جهداً في احكام الرماية . فان كل مدفع وكل رام يصيب تقريباً على بعد ستة اميال . فلذلك لم تسنح للاسطول الانكليزي فرصة لاثبات ما يعزى الى مدافعهِ ورماتهِ من مزية التفوق على الغير . وكذلك نجهل عدد السفن التي اغرقها الاسطول الانكليزي من الاسطول الالماني ونجهل شدة فتك مدافعهِ التي من عيار ١٥ بوصة فلا يصح القول ان هذه المعركة كشفت لنا النقاب عن حقيقة امرها . انتهى

هذا وقد اثبت الاميرال جليكو القائد العام للاساطيل الانكليزية ان خسارة الانكليز كانت دون خسارة الالمان كثيراً لا كما خيّل لهُ في اول الامر اذ ظن ان خسارتهم تقل عن خسارة الانكليز . ويؤخذ من تقريرهِ ان الفريقين خسرا من البوارج والطرادات والنساقات ما هو مذكور في البيان التالي

ما خسره الانكليز

الاسم	التفريغ	سمك الدرع	قطر المدفع الكبير بوصة	القوة بالحصان	السرعة بالميل البحري
كوين مادي	٢٨٨٥٠ حصانًا	٩ بوصات	١٣½	٧٨٠٠٠ حصان	٢٨
الدتيجابل	١٧٢٥٠ »	٧ »	١٢	٤٣٠٠٠ »	٢٧
انفنسبل	١٧٢٥٠ »	٧ »	١٢	٤٣٠٠٠ »	٢٧
ديفنس	١٤٥٠٠ »	٦ »	٩٫٢	٢٧٠٠٠ »	٢٢٫٥
بلاك برنس	١٣٥٥٠ »	٦ »	٩٫٢	٢٢٥٠٠ »	٢٢٫٥
ودبور	١٣٥٥٠ »	٦ »	٩٫٢	٢٣٥٠٠ »	٢٢٫٥
	١٠٤٩٥٠			٢٣٨٠٠٠	

وخسروا ايضًا تسع نسافات

ما خسره الالمان

اما خسارة الالمان فكانت ثلاث بوارج من طرز دريدنوط التي يختلف تفريغها بين ١٨٥٠٠ طن و ٣٠٠٠٠ طن وسمك درعها بين ٦ بوصات و ١٤ بوصة وقوة آلاتها البخارية بين ٢٠٠٠٠ حصان و ١٠٠٠٠٠ حصان وسرعتها بين ٢٠ ميلاً و ٢٨ ميلاً وقطر مدافعها من ١١ بوصة الى ١٥ بوصة فيكون متوسط تفريغها نحو ٢٥٠٠٠ طن ومتوسط سمك درعها ١٠ بوصات ومتوسط قوة آلاتها البخارية ٦٠٠٠٠ حصان ومتوسط سرعتها ٢٤ ميلاً . وعليه فتفريغ هذه البوارج الثلاث ٧٥٠٠٠ طن وقوة آلاتهما البخارية ١٨٠٠٠٠ طن

وخسروا ايضًا بارجة من طرز ديشلند التي تفريغها ١٣٢٠٠ طن وسمك درعها ١٠ بوصات وقطر المدفع من مدافعها ١١ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٠٠٠ طن

وخمسة طرادات خفيفة مما تفريغهُ بين ٢٦٧٠ طنًا و ٦٣٠٠ طن وقوة آلاتهِ البخارية بين ثمانية آلاف حصان و ٤٥ الف حصان فمتوسط التفريغ نحو ٤٥٠٠ طن ومتوسط قوة آلاتهِ البخارية ٢٦ الف حصان . وعليهِ فتفريغ هذه الطرادات الخمسة نحو ٢٢٥٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ٣٠٠٠٠ حصان ومجموع تفريغ هذه السفن كلها ١١٠٧ ومجموع قوة آلاتها البخارية ٧٠٠ ٣٣٦

وخسروا ايضًا تسع نسافات ومدمرات

في جحيم الصحراء

كان عند الانكليز سفينة تجارية اسمها ميرزيا فاغتنمها حكومتهم واقامتها بين السفن الكشافة وسمتها فارا وجعلت مقرها في الاشياء الشرقية من بحر الروم. وفي الخامس من شهر نوفمبر الماضي التقت بها غواصة المانية على ثمانية اميال من الساحل وضربتها بالتوربيد فنسفت آلتها البخارية وقتلت ١٢ من بحارتها واغرقتها في سبع دقائق. فنزل بقية ركابها في القوارب او رموا بانفسهم الى البحر. وظهرت الغواصة حينئذٍ فوق الماء ولكنها لم تحاول انتشال احد من الذين كانوا يحاولون السباحة بل اسرعت بانيها الذي في القوارب ان يصعدوا اليها فصعدوا وقطرت القوارب وراءها الى ان وصلت الى ميناء السلوم فامرتهم ان ينزلوا هناك فنزلوا وانزلوا الذين انوا بهم من القتلى والجرحى وكان على البر جماعة من الجنود الاتراك ومعهم ضباط من الالمان فسُلِّم اليهم هؤلاء الرجال كاسرى حرب. وقد وصف اثنان منهم ما لقوهُ مدة اسرهم الى ان انقذهم دوق رسمنستر فلخصنا وصفهما بما يأتي قالا

كان نوري بك اخو انور باشا بين الضباط وكأنهُ اكبرهم مقاماً على ما يظهر فقال لنا اننا نستطيع ان نكتب الى اهلنا ونخبرهم اننا احياء وهو يرسل المكاتيب اليهم فكتبنا وسلمناهُ المكاتيب ثم وجدنا في اليوم التالي انهُ مزقها ورماها. واعطونا في الليلة الاولى عنزتين لنأكل لحمها ولكنهم لم يعطونا آنية نطبخهُ فيها فجمعنا حطباً وقشَّاً واضرمنا النار وشويتا العنزتين واكلناهما

ويشتدُّ الحرُّ نهاراً والبرد ليلاً في تلك الانحاء وكانت ثياب اكثرنا مبللة فليتصوَّر القارئ ما حلَّ بنا ذلك الليل ببرد القارس لاننا كنا في العراء السماء غطاؤنا والارض فراشنا. وأُمرنا في الصباح ان نتحب توارينا الى البر ونبعدها عن البحر مئة متر لكي يتعذر علينا الهرب بها. ثم أُعطي كلَّ واحد منا بسماطتين وهما جرايتهُ في اليوم وأُمرنا ان نمشي في وادٍ كله حجارة صوان حادة تجرحت اقدام الحفاة منا

وفي السابع من نوفمبر وصلنا الى مكان فيهِ نحو مئة من جنود الاتراك فاقيموا على حراستنا وجاءنا طبيب نبهتم بنا فحسَّن ضمادنا نوعاً بان زيد بسماطة في اليوم لكل واحد وقليل من الارز وعنزة لنا كلنا ولكننا بقينا نبيت في العراء لا غطاء ولا وطاء

وفي الثاني عشر من نوفمبر أُرسلنا الى مرتفع وكنا نسير خمس ساعات سيراً حثيثاً ثم

نستريح قليلاً ونعود الى السير وفي الساعة الرابعة بعد الظهر نعطى جرايتنا وهي حفنة من الارز لكل منا ونعاود السير سبع ساعات متوالية بما نحن فيهِ من الجوع والتعب وحراب البنادق تخس ظهورنا . وكان المظنون اولاً ان المكان الذي ارسلنا اليهِ لا يتجاوز بعدهُ ٢٥ ميلاً فتجاوز ثمانين ولم نصل اليهِ

وفي السابع عشر من الشهر هرب واحد منا فأُخذنا بجريرتهِ والتزمنا ان نسير ٤٨ ساعة بلا طعام مطلقاً وبما لا يبل الصنتنا من الماء . وهنا فرغ صبرنا ولم يبق فينا رمق وجعلنا نقع في الطريق اعياء فامرنا الحراس ان نقف واعطوا كلاً منا كوبة من الماء ولكن لم يعطونا شيئاً من الطعام . ولما انتصف الليل انهضونا وامرونا بالسرى

وكل مدة سيرنا في القفر مسافة ٢٨٠ ميلاً لم تزد جراية الواحد منا في اليوم على بقسماطة وست ملاعق من الارز وكان متوسط سيرنا ١١ ساعة كل يوم وقائد الحرس راكب فيستحثنا حتى نجاري فرسهُ ونُضرَب اذا تأخرنا عنهُ

وكان اكثرنا حفاة و يكادون يكونون عراة ايضاً خرقتنا الشمس وورمت السنتنا واسودت من العطش واحمرت عيوننا وبهرت من نور الشمس وصرنا نجر انفسنا جرًّا من شدة التعب والسغب فوصلنا الى بئر الخاكم ونحن في حالة يرثي لها قلب الجماد وصرنا حينئذٍ في اسر السنوسي . ولم تنتهِ مشاقنا هناك . والرياح في الليل شديدة قارسة وكنا ننام في العراء فاقتنا سوراً من التراب حولنا يمنع عنا عصفها . وابتدأ فصل الشتاء حينئذٍ فاعطانا العرب بعض الخيام القديمة لننام فيها وهي نذرة مملوءة بالهوام . وزاد الطين بلة ان أُصبنا بالدوسنطاريا لكن الضابط العثماني الذي كان يتولى قيادة رجال السنوسي قال ان لا بدَّ من تشغيلنا ولو كرهاً موقتاً وامرنا ان نسير كل يوم خمسة اميال في القفر وننزح بعض الآبار ولكن اشتدَّ المرض على المرضى منا حتى رأى هذا الرجل ان اجبارهم على السير الى تلك الآبار صار ضرباً من المحال

وفي اول دسمبر اخذوا كل ما كان معنا من فضة وذهب من نقود وساعات وخواتم وما اشبه وجعل النساء والاولاد يرشقوننا بالحجارة ايناً رأونا

وكان معنا كلب تبعنا من السفينة فرافقنا واشترك معنا في الضراء وكان الحامي الوحيد لنا وهو اشفق على الانسان من الانسان

وكنا نعطى قليلاً من الدقيق من وقت الى آخر فنجبلهُ بالماء ونبسطهُ على قطعة محماة من الصفيح حتى يخبز ونسر بهِ كاطيب المآكل . وهنا صارت جرايتنا تعطى لنا كل اسبوع

وهي ثلاثة اكياس من الارز زنة كل منها نحو ثلاثين اقة فسررنا اولاً لاننا ظننّاها ارزًّا كلها ولكنّ لما فحصناها وجدنا في كلٍّ منها كثيراً من الحجارة الكبيرة . وفي نحو الخامس عشر من دسمبر امرنا السنوسي ان لا نأكل الاّ مرة واحدة في اليوم وان نحفر خنادق تجري فيها مياه المطر الى الآبار . ومات واحد منا في ١٨ دسمبر وحينئذٍ استرحم طبيبنا ان يزاد طعامنا فجعلوا يعطوننا قليلاً من اللحم كل يوم على خمسة ايام ثم ابطلوا ذلك كانهم ندموا على ما فعلوا

اما نحن فرأينا ان لا بدَّ لنا من السعي والجد لعلنا نجد شيئاً نقتات بهِ فوجدنا في القفر كثيراً من الحلزون فجعلنا نجمعهُ ونأكلهُ وقضينا اربعة عشر يوماً وطعامنا الحلزون ثم أُعطينا قطيماً من المعزى لنأكل منهُ عنزتين كل يوم ففعلنا الى ان اكلنا القطيع كلهُ فجعلوا يعطوننا شيئاً من التمر نحو عشرين تمرة لكلٍّ منا في اليوم . ووصلنا حينئذٍ الى اشد درجات الهزال وكان اكثرنا مصاباً بالدوسنطاريا وكدنا نقطع الرجاء من كل نجاة ورأينا ان لا بدَّ من ان نموت جوعاً اذا لم نجد منقذاً فعزم الكيتن ويمس ان يهرب عساهُ ان يصل الى السلوم ويسعى في نجاتنا فتربص الى ان ارخى الليل سدولهُ وكان قد اعدَّ قربة ملأها ماء وحملها وكنا قد خبأنا لهُ قليلاً من التمر فوضعهُ في جيبهِ ليقتوت بهِ وتسلَّل خفية ولاذ بالفرار وبعد ايام قليلة سمعنا صوت البنادق فالتفتنا واذا فرسان من السنوسية قادمون وهم يسوقون هذا المسكين امامهم ولما وصلوا بهِ جلدوهُ بالسياط ورشقهُ النساء بالحجارة وجعلوا بيتهُ في حظيرة المعزى

وفي ٢٣ يناير مات منا واحد آخر جوعاً فعدنا الى التفتيش عن الحلزون واكلهِ الى ان لم تبقَ حلزونة في تلك القفار وصرنا نضطر ان نبعد كثيراً في التفتيش عنها ووجدنا نباتاً يشبه الفصَّة فجعلنا نجمع جذورهُ ونسلقها ونأكلها واخيراً اتصلنا الى دق نوى التمر بالحجارة واكلها فتقوتنا كذلك الى العاشر من فبراير وحينئذٍ امر السنوسي لكلٍّ منا بقطعة صغيرة من لحم المعزى حتى اذا انتصف شهر مارس ولم يبقَ بيننا وبين الموت جوعاً واعياء قيد شبر وقد ايقنا بالهلاك قال واحد منا انظروا قالي ارى الخرَّاس في فلق فالتفتنا واذا بعض السنوسيين قد صعدوا على المرقب وجعلوا يطلعون نحو المشرق ثم نزلوا وهرعوا الى خيامهم وجمعوا اسلحتهم ونساءهم واولادهم وما عندهم من زاد واركبوا الى الفرار . وبينما نحن مستغربون ما نرى لا نفقهُ لهُ معنى رأينا نقطة صغيرة في الافق ثم اخرى واخرى وبعد قليل تبيَّنا هذه النقط واذا هي اوتوموبيلات مدرعة ولم يكن الاّ دقائق قليلة حتى

وصلت الينا فطفح علينا السرور حتى لم تعد ارجلنا تحملنا . والاتومبيل الاول كان فيه المستر غرغس الفارس الشهير والثاني كان فيه دوق وستمنستر

واول شيء فعلهُ الدوق ورجالهُ انهم اطعمونا طعاماً لم نذقهُ منذ خمسة اشهر حتى امتلأت ضلوعنا ثم رضعوا مرضانا في اتومبيل خاص يحمل المرضى واليسوا كلاً منا رداء كبيراً ووضعونا في الاتومبيلات وعادوا بنا مسرعين . وسبقنا الدوق باتومبيله السريع ليعدَّ لنا مكاناً ننزل فيه فوصلنا اليه في الصباح التالي بعد نصف الليل باعتين ورأينا اللبن والوسكي في انتظارنا فاسترحنا بضع ساعات ثم جيء بنا الى السلوم ومنها الى السفينة رشيدة التي نقلتنا الى الاسكندرية . انتهى

فليقابل القارئ بين المعاملة التي عامل بها العثمانيون والسنوسيون هؤلاء الاسرى وبين المعاملة التي يُعامل بها اسراهم في القطر المصري وليرَ الفرق بين الامم . ولا عبرة بما يعامل به الالمان اسراهم لانهم شذوا عن الامم المتمدنة باختيارهم حاسبين الارهاب وسيلة لقهر الاعداء كالبندقية والمدفع

اذا عاد التمدن القهقرى الى هذه الحالة الشوهاء تغير لنوع الانسان ان ينقرض عن وجه البسيطة

ويحطئ من يظن ان الاقدمين كانوا ارحم من المتأخرين من هذا القبيل فان في تواريخ كل الامم القديمة من ضروب القسوة ما تقشعر منهُ الابدان . كانوا ينشرون الاسرى بالمناشير ويبقرون بطون الحوامل ويدوسون الاطفال بسنابك الخيل ويسملون العيون ويجدعون الانوف ويصلمون الآذان ويقطعون الايدي ويصلخون الجلود ولم يتركوا وسيلة من وسائل التعذيب الاَّ اتوها . لكن القرن الماضي ابطل كل ذلك تقريباً وكنا نرجو ان تزول آثار الهمجية في هذا العصر فاذا هي قد نمت وقويت

الفت سيدة اميركية رواية وصفت فيها ما كان الارقاء يلاقونهُ عند اسيادهم من ضروب العذاب فكانت تلك الرواية باعثاً على الحرب الاميركية الاهلية التي ابطلت الرق . فهل من كاتب بليغ يصف ما لاقاهُ الاسرى في هذه الحرب كما وصف كاتب المقالة المتقدمة عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى تبادل الاسرى حالاً والاتفاق على خفض شوكة التوحش

كباري الحديد

استعمل العرب كلمة جسر لما يعبر به فوق الانهر كما هي مستعملة في بلاد الشام واما في مصر فشاعت كلمة كبري التركية وخصّت كلمة جسر بالسد الذي يرفع على جانبي النيل او الترع لكي لا تطغو مياهها على ما حولها من الارض اذا علت

وهذا البحث اللغوي لا محل لهُ هنا ولا استثقالنا كلمة كبري ولا محل للبحث في الكباري ايضاً لولا رؤيتنا ما ادهشنا قُبيل كتابة هذه السطور فان الاعمال التي تعتمد على الحديد وقفت كلها تقريباً في هذا القطر الذي كان يبني بيتاً اوقف بناءهُ لانهُ لا يستطيع ان يشتري لهُ كرات الحديد بعد ان غلا ثمنهُ ثلاثة اضعاف والذي كان يحفر الترع والمصارف في اطيانهِ وينشئ فيها السكك الزراعية ويحتاج فيها كلها الى مواسير الحديد اوقف العمل لغلائها الفاحش . فما كان اعظم دهشتنا حينما رأينا كبري امبابه ذلك البناء الحديدي الضخم تُوصل اجزاؤهُ بعضها ببعض وينصب في مكانهِ كأن الحديد باقٍ على سعرهِ وكأن الحاجة ماسّة اليهِ فلا كبري آخر الى جانبهِ والناس يعبرون النيل على القوارب كما كانوا يفعلون في العصور الغابرة . ولكن كبري امبابه قائم في مكانهِ وقطرات سكك الحديد تمرُّ عليهِ ذهاباً وايابًا مراراً كل يوم وهو جامد لا يستحيث ولا يتحرك . نعم قد تنفصم عراهُ في لحظة من الزمان اذ قد قال المهندسون انهُ على غير ما يجب ان يكون من المتانة ولكن لا دليل على انهُ ضعيف الى حد يوجب المبادرة الى انشاء غيرهِ في هذا الوقت العصيب مع غلاء ثمن الحديد الاَّ اذا كان المقاولون قد اشتروا الحديد كلهُ واوصلوهُ الى مكانهِ قبل نشوب الحرب . ولعلَّ هذا هو الواقع

والقطر المصري والسوداني في مقدمة الاقطار التي استعملت كباري الحديد الكبيرة لان النيل من اكبر انهار العالم واوسعها وعندنا كبري الخرطوم وكبري نجع حمادي وكبري الروضة وكبري قصر النيل وكبري بولاق وكبري امبابه وكبري بنها وكبري كفر الزيات وكلها من اعظم كباري الدنيا لكنها ليست اعظمها ولا اصعبها بناء ولا اطلاها انشاء

ولعلَّ انشاء الكباري الكبيرة مثل كبري قصر النيل وكبري بولاق وكبري امبابه من اصعب الاعمال الهندسية اذ يضطر المهندسون ان يصنعوا في المعمل كل قطعة منها وكل مسمار ويحكموا صنعها حتى لا يضطروا وقت تركيب اجزائهِ الى قطع او وصل ناهيك ما في حفر الاساسات

للعضائد (اليغلات) من المشقة اذ قد يبلغ عمق بعضها مئة قدم الى ١٨٠ قدماً ولا بدَّ من حفرها تحت الماء ولو حوّل الماء عنها . واهمّ من ذلك ان الاجزاء المختلفة يجب ان تكون من المتانة بحيث تحتمل كل ضغط وشد ومقاومة واختلاف في التمدُّد والتقلُّص والاَّ انفصمت . والحديد طبائع فقد تتبلور اجزاؤهُ ويصير قصماً كالزجاج . كان العمال يعملون في كبري نهر سنت لورنس بكندا في صيف سنة ١٩٠٧ وعددهم ٨٦ تخسف الكبري بهم دفعة واحدة وسقط في النهر وكان ثقلهُ اكثر من ١٥٠٠ طن فقتل من العمال ٧٤ وتلوَّت اجزاؤهُ بعضها على بعض حتى لم تخرج من النهر الاَّ في سنة ونصف سنة وبعد اشد المشاق . وقد خسر المقاولون بسقوطهِ اكثر من مليون جنيه واقاموا شهرين يفتشون عن نقطة يستطيعون ان يبتدئوا بها لتفكيكهِ وانتشالهِ من قاع النهر واخيراً لجأوا الى قطع اجزائهِ الظاهرة فوق الماء بصهرها بالبودي الاسيتيلني ونسف الاجزاء الغائصة في الماء بالديناميت

وقد وضع رسم هذا الكبري مهندس من امهر المهندسين ولكنهُ اخطأ في حساب الفرشات التي توضع على العضائد فانهُ جعل طول كل فرشة منها خمس اقدام وعرضها كذلك فلم تحتمل الثقل العظيم الذي وضع عليها مع انها من الحديد ولما صنع هذا الكبري ثانية جُعل طول كل فرشة سبع اقدام وعرضها كذلك وعلوها ١٠ اقدام وثقلها ٤٠٠ طن . وسيكون طول هذا الكبري ٣٠٠٠ قدم وتبلغ نفقات انشائهِ مليوني جنيه

واكبر من هذا كبري التاي في اسكتلندا فان طولهُ ميلان وفيهِ ٨٦ عيناً او قنطرة وقد جعل من المتانة بحيث لا تؤثر فيهِ العواصف مهما اشتدَّت لان الكبري الذي كان قبلهُ هناك عبثت بهِ العاصفة فطرحتهُ هو وقطاراً كان مارّاً عليهِ سنة ١٨٧٩ وقتل بهِ حينئذٍ ٦٧ نفساً وقد وصفنا ذلك حينئذٍ في مقتطف مارس سنة ١٨٨٠ .

ومن الكباري البديعة في بابها كبري الفورث في بلاد الانكليز ايضاً وهو اول كبري استعملت فيهِ الكوابيل والكابول عضادة بأرزة من بناء يستند اليها شيء يبنى عليها كالشرفات ونحوها وطول هذا الكبري ٨٢٩٥ قدماً وفيهِ ٥٠٩٥٨ طناً من الصلب وثلاثة ابراج كبيرة من الصلب ايضاً ارتفاع كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وقد تتأت الكوابيل منها وهي مئة يمتد كلٌّ منها ٦٨٠ قدماً . قال السر بنيامين باكر مهندس هذا الكبري انهُ لو علق بطرف كل كابول منها بارجة حربية من اكبر البوارج لما اثر ثقلها اقل تأثير بالاربطة التي تربط ذلك الكابول براس البرج

ويعتبر هذا الكبري في السلطنة البريطانية كبري هردنج الذي تمَّ انشاؤهُ حديثاً على

نهر الكنك في بلاد الهند فقد بلغت نفقاتهُ ٢٦٦٥٠٠ جنيه و بلغت نفقات كبري الفورث ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه . ونهر الكنك يفيض بعد ما يذوب الثلج على جبال حملايا و يغمر البلاد حول ضفتيهِ فلا يبقى سبيل لعبور المارة عليهِ فاضطر المهندس الذي اقامهُ ان يقيم لهُ سدوداً على جانبيهِ الى بعد ٣٠٠٠ قدم فوقهُ و ١٠٠٠ قدم تحتهُ . و بلغت السدود بحجارة ضخمة ثقل الحجر منها من طنين الى سبعة اطنان . والكبري ١٦ عضادة (بغلة) بلغ عمق اساسها من ١٥٠ الى ١٦٠ قدماً وما وضع في الاساس اساطين كبيرة من الحديد طول كل اسطوانة منها ١٦ قدماً وثقلها ١٦٠ طناً كانت تركب على الشاطئ و يؤتى بها الى حفرة الاساس وتنزل هناك . وفي الكبري ١٦ قنطرة من الصلب سعة كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وثقلها ١٢٥٠ طناً وستة تناطير على الضفتين وثقل الكبري كلهِ ٣٠٠٠٠ طن من الصلب وقد صنعت كل اجزائهِ في بلاد الانكليز ونقلت الى الهند

ومن اعجب الكباري الكبري الذي اقيم فوق شلال فكتوريا لاجل السكة التي يراد ان تصل القاهرة برأس الرجاء الصالح فانهُ كان ارفع كبري في الدنيا اذ يبلغ ارتفاعهُ ٤٢٠ قدماً ولكن الفرنسويين بنوا قناطر الفاد منذ سنتين وارتفاعها ٤٤٠ قدماً فصارت ارفع الكباري كلها

وقد بني هذا الكبري فوق شلال فكتوريا من الجانبين في وقت واحد واستال المهندس لذلك بأن حفر في كل جانب بئرين في الصخر الاصم عمق كلٍّ منها ثلاثون قدماً والبعد بينها ٣٠ قدماً وحفر سرباً يصل بين قاعيهما واجاز فيها حبلاً ثخينا جداً من اسلاك الحديد المفتولة ور بط ذلك الجانب من الكبري بهِ حتى يثبت في مكانهِ ولا يهوي و يقع في الهوة التي تحتهُ اي ربط كل جانب برزة في الارض وهذه البرزة جبل من الصخر الصلد ثخن حلقتها عشرة امتار

وخيف ان يقع احد العمال او يقع شيء من ادواتهم في الهوة التي تحتهم فمدت شبكة من الحديد تحت الكبري حتى تتلقى ما يقع . وكانت اجزاء الكبري قد صنعت كلها على تمام الدقة ولما تمَّ بناؤهُ اي لم يبقَ الاَّ القطعة الاخيرة التي تصل بين الطرفين وُجد انها اطول مما يلزم نحو ثلاث بوصات لان الحر الشديد الذي اتفق حدوثهُ ذلك اليوم اطال كل اجزاء الكبري فبلغ مجموع طولها ثلاث بوصات لكن ما حدث في النهار زال في الليل فلما قام العمال في الصباح وجدوا البعد بين الطرفين مساوياً للقطعة الاخيرة فوضعوها في مكانها فجاءت محكمة الوضع

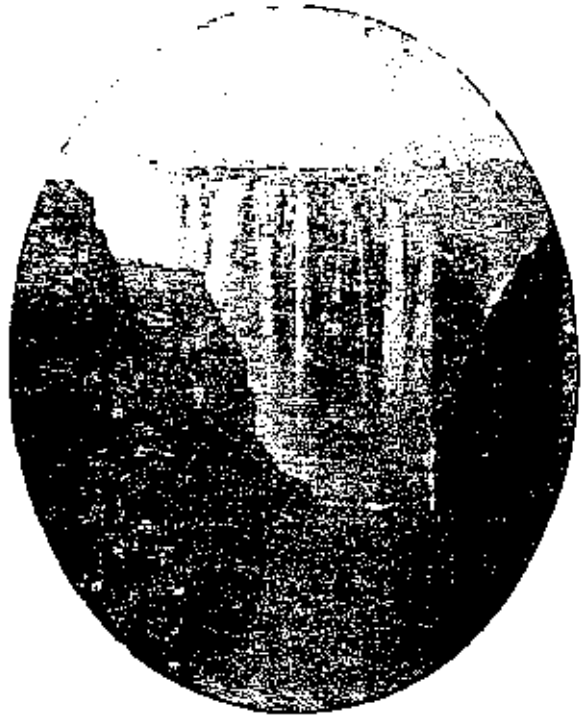

شلال فكتوريا

كبري شلال فكتوريا

مقتطف سبتمبر ١٩١٦

تمام الصفحة ٢٧

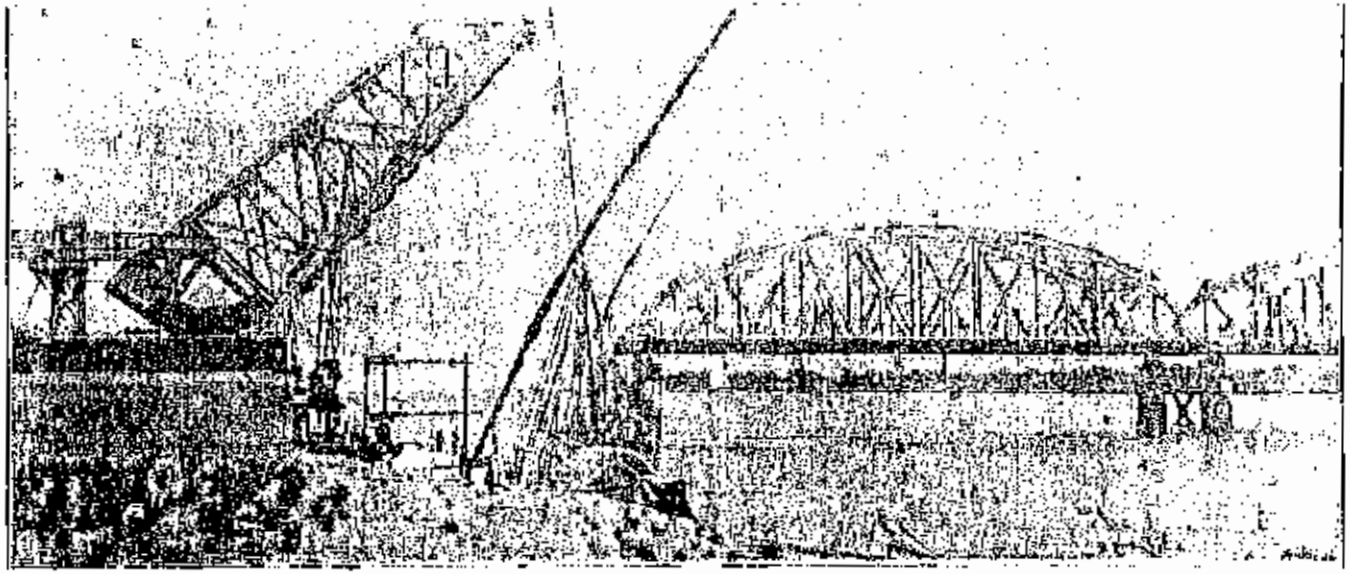

كبري الخرطوم

مقتطف سبتمبر ١٩١٦

وقد بنى الاميركيون حديثاً كبرياً فيه من الصلب ما زنتهُ ٨٠٠٠٠ طن وفيه قنطرة سعتها ١٠٠٠ قدم . وعندهم ثلاثة كباري معلقة وهي اكبر الكباري المعلقة وتعد من اعظم عجائب الهندسة ويختلف طولها من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ قدم وسعة فرجتها من ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ قدم ويمر على كلٍّ منها اربع سكك حديدية وسكتان للترمواي عدا طرق المركبات والسابلة . ومن هذه الكباري كبري بروكلين وقد بني في ١٣ سنة وبلغت نفقات بنائهِ ٣٢٠٠٠٠٠ جنيه وفيه اربعة حبال من اسلاك الصلب قطر كل حبل منها اربعة امتار مستمراً وطولهُ ١٣٠٠ متر

اما الكباري المصرية والسودانية فعلى كبرها تقصر عن الكباري المذكورة آنفاً في حجمها وبلغ نفقاتها اقدمها كبري كفر الزيات . فكبري الخرطوم مثلاً طولهُ ١٨٣٥ قدماً فقط وهو مؤلف من سبع قناطر (فتحات) كبيرة من الصلب قائمة على بغلات (اساطين) من الفولاذ ايضاً ولهُ في احد طرفيهِ خلق طولهُ ١١٠ اقدام وثقلهُ الف طن يرتفع بآلتين كهربائيتين وثقل كل قنطرة من القناطر السبع ٥٣٣ طناً وثقلها مع قرشها ٨٠٠ طن وقطر كل بغلة من بغلاتهِ ١١ قدماً من اعلاها و١٦ من اسفلها وثقلها ١٢٠٠ طن ويغور بعضها في الارض الى عمق ٨٣ قدماً وهي محوفة ومملوءة بالخرسانة وعليهِ فثقل الكبري كلهِ مع كنيهِ نحو ٣٥ الف طن

وكبري بولاق يبلغ طولهُ ٢٧٥ متراً (اي نحو ٩٠٥ اقدام) وعرضهُ عشرون متراً وهو مؤلف من اربع فتحات ثابتة طول كل فتحة منها ٥٠ متراً وفتحة متحركة في وسطهِ وهي عجاز للمراكب سعتها سبعة وعشرون متراً وقد بلغ وزن الصلب في عتب كل فتحة اكثر من ٥٠٠ طن واجازة التحرك الذي يفتح لمرور المراكب لهُ كفتان في كل كفة صندوق كبير محشو بالحديد والخرسانة ثقلهُ ٦٠٠ طن . ولم يذكر كم ثقل الكبري كلهِ ولكنهُ يقل عن ثقل كبري الخرطوم

وحبذا لو وضعت وزارة الاشغال العمومية رسالة مسهبة في كباري السلطنة المصرية كلها

سكان غربي آسيا

خلاصة البحث

اذا اردنا تلخيص ما تقدم لنا من البحث في هذا الموضوع واستنتاج النتائج منهُ لا نرى بدًّا من ترك بعض الشعوب القاطنة غربي اسيا وشأنهم كالسود والنجر والجركس والالبان والبلغار والبوسنيين والافرنج الذين قطنوا الشرق منذ طويل (الفرنك واليفتيين) . فان البحث في اصلهم وفصلهم خارج عن موضوعنا هذا

اما الشعوب الباقية فاهمها لدى كاتب هذه المقالات الاكراد . وغاية ما يقال عنهم ان كثرة الشقر فيهم تدل على ان موطنهم الاصلي بعض البلاد الشمالية . ويرجح بناء على لغتهم الآرية انهم ينتسبون الى قبائل الميتاني التي كانت لها آلهة آرية في القرن الثالث عشر قبل المسيح . واني اعلم تمام العلم ان ليس عندنا دليل واضح على صحة هذا القول ولكنني ارى ان الاكراد والاموريين المذكورين في التوراة وقبائل الميتاني المشار اليهم آنفًا والذين ذكروا في احافير بوغاز كوي وقبائل تاميهو الذين ذكروا في الكتابات المصرية القديمة هم منتسبون بعضهم الى بعض ان لم يكونوا شعبًا واحدًا . والظاهر ان بعض قبائل الشمال جعلت تهاجر الى بلاد الاناضول وسورية وايران ومصر والهند في القرن الخامس عشر قبل المسيح او نحو ذلك . واذا صح ان الكتابات القديمة تقول ان الاموريين والتاميهو كانوا شقر الالوان امكننا بذلك ان نعلل كثرة ما يرى من الشقر الآن في الاناضول وسورية وبين اليهود معاصرينا

اما الشعوب الاخرى المنتشرة في غرب اسيا كالطهطجية والألاوية والانصارية والقزل باش واليزيدية والبكطاش ممن يتكلمون التركية والعربية والكردية مع تجانسهم تجانسًا تامًّا في الصفات الطبيعية — يضاف اليهم الدروز والمرارنة — فقد تقدم القول انهم ذوو رؤوس عالية ومستديرة ومسطحة كل السطح من القفا وذوو انوف شماء . ومثلهم كثيرون بين الايرانيين والترك والارواء والارمن . ويظهر من القرائن ان استدارة الرؤوس فيهم قديمة اصلية وطولها حديث مجلوب بالمهاجرة . وهذا الرأي مؤيد بالاعتبارات التاريخية وبالاحافير الحديثة . منها انهُ في اواخر القرن الثالث عشر قبل المسيح عقد

رعمسيس الثاني صلحاً مع ملك الحثيين وكانت مملكتهُ بعيدة الاكناف ممتدة من غرب الاناضول الى ما بين النهرين ومن قادس على نهر العاصي الى البحر الاسود . ولسنا نعلم الآن هل كان سكان تلك المملكة الواسعة شعباً واحداً متجانساً ولكن عادياتهم تظهرهم لنا بمظهر واحد لا شذوذ فيهِ فرؤوسهم عالية مستديرة وانوفهم شبيهة بانوف ذوي الرؤوس المستديرة من سكان غرب اسيا . ولا ريب عندي ان هؤلاء سلالة الحثيين وقد حافظوا على صفاتها الطبيعية مدة ثلاثة آلاف سنة . وهذه الصفات تشبه صفات اليهود وتطابق معنى الجمال العبراني القديم كما جاء في نشيد الانشاد « عيناك كالبرك في حشبون . أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق » . ولكن هذا الجمال ليس سامياً وقلما لمحهُ بين الساميين الحقيقيين كالبدو مثلاً

هذا وان الكتابات الحثية لم تقرأ حتى الآن ولكن علماء اللغات الشرقية مجمعون على القول ان اللغة الحثية ليست من اللغات الساميّة في شيء بل ان الحثيين كانت لهم لغة وكتابة وديانة خاصة بهم . وليس للساميّة اثر في العصور القديمة واعلها . وما كان لها من الاثر بدأ يظهر في عصر متأخر وكان ظهورهُ اولاً في بابل ثم في فلسطين فشمال سورية . ولما كان « تسوب » عميد آلهة الحثيين لم يذكر في الكتابات الساميّة التي وجدت في منجرلي صح لنا ان نستنتج ان الغزاة الساميين جلبوا معهم الى شمال سورية كتابتهم ولغتهم وديانتهم نحو سنة ٩٠٠ قبل المسيح او قبل ذلك التاريخ ولكننا نجهل عددهم والتاريخ لا يدلنا على مقدار تأثيرهم في الصفات الطبيعية التي للحثيين القدماء سكان تلك البلاد

على ان معظم الصعوبة التي نجدها في هذا البحث هي معرفة الوطن الاول الذي جاء منهُ الحثيون وجميع شعوب غرب اسيا ممن امتاز بالجمجمة المستديرة والانف الاشم الضيق . ومما يذكر في هذا الباب ان الشعب المعروف باسم « ألبين » نسبة الى جبال الالب في اواسط اوربا بينهُ و بين تلك الشعوب لحمة نسب لا تنكر ولكن لا يسعنا الاول وعلة ان نقول هل جاء الحثيون من اواسط اوربا ام ذهب الالبيون اليها من غرب اسيا . واهل المذهب الثاني اكثر عدداً . وان كان لا يزال للمذهب الاول انصار فهم يستندون الى ما هو معلوم من ان الارمن والفرس المحدثين وهم يمثلون الحثيين تمام التمثيل يتكلمون لغات آرية . فنقول في الرد على هذا ان كثيراً من الامم والشعوب استبدلت لغاتها باخرى من غير ان تفقد صفاتها

الطبيعية فلا بدع اذا قلنا هنا ان اسلاف الاكراد الاقدمين وهم من الجنس الاشقر الاصهب اعاروا لغتهم الآرية للارمن والفرس القدماء من غير ان يؤثروا في صفاتهم الطبيعية . ولا ننس ان اوربا ليست في الحقيقة سوى شبه جزيرة ملحقة باسيا وان الشعوب التي تمثل الحثيين اكثر كثيراً في اسيا منها في اوربا . فالارجح لذلك ان يقال ان مهد الحثيين في اسيا حيث نجد ذوي الرؤوس المستديرة منتشرين شرقاً حتى برما وسيام والارخبيل الملقي

وخلاصة ما تقدم انهُ كان يقطن غرب اسيا في الزمان الاول شعب متجانس اسمر البشرة برؤوس مفلطحة وانوف شماء ضيقة . وفي نحو سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح اخذ يهاجر الى تلك البلاد شعب ساميٌّ من الجنوب الشرقي . والمرجح انهُ هاجر من بلاد العرب وان المهاجرين كانوا يشبهون في ملامحهم البدو المعاصرين لنا . وبعد ذلك بالفي سنة بدأت مهاجرة ثانية ولكنها جاءت من الشمال الغربي وكان الشعب المهاجر هذه المرة اصهب اشقر ذا رؤوس طويلة كالاكراد المحدثين ولكنهم كانوا اشبه بافصح منهم بالمتمدنين وربما كانوا متصلين بالاموريين والفلاخيين في النسب

ويقال بالاجمال ان المحدثين من الترك والارمام واليهود مزيج من هذه العناصر الثلاثة الحثيّ والساميّ والاصهب . اما الارمن والايرانيون والدروز والموارنة وسائر نحل سورية واسيا الصغرى فانهم يمثلون العنصر الحثي القديم ولم يؤثر فيهم سيل الغزاة او كان اثرهُ فيهم ضئيلاً

ومن الاغلاط التي كانت كثيرة الشيوع فيما مضى ان يقال الشعوب الآرية بدلاً من الشعوب التي تتكلم اللغة الآرية اي ان الكتاب كانوا يخلطون بين الجنس واللغة . وذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا جماجم آرية وعيون آرية حتى شدد ماكس ملر النكير على علماء اللغة لتطفلهم على موائد علماء علم الانسان وقال « ان قولنا نحوٌ مفلطح الرأس ليس باغرب ولا ادعى الى الهزء من قولنا جمجمة آرية »

باب الزراعة

استغلال الارض

(٨)

اذا استثنينا اركان عمارة الارض الاساسية كانشاء الترع والمصارف الكبرى فيها واحياء مواتها وخصصنا النظر باستغلالها بعد استيفائها تلك الاركان وجدنا ان صناعة الفلاحة حينئذٍ تخالف سائر الصناعات التي تربو منتجاتها اكثر بادارتها برؤس اموال عظيمة وآلات ميكانيكية كبيرة تغني عن عديد العمال وانهُ لا يربو ريعها كما ينبغي الاَّ اذا جزئت اجزاء صغيرة لتوقف اتقانها على العناية الشخصية والمهارة اليدوية . ولذلك ولما ذكرناهُ في مقالتنا الاولى كانت القيطان الصغيرة وما داناها من القيطان المتوسطة التي يقوم اصحابها باستغلالها بانفسهم واهلهم اوفر غلة من القيطان الكبيرة غالباً واقل مصروفاً دائماً على تفاوتهم في العمل بقواعد الفلاحة مع رسوخها فيهم (لطول الفتهم لها ومزاولتهم اياها منذ نشأتهم) تبعاً لتفاوتهم في القدرة والعناية . ولذلك لا يندر ان نجد قيطين متلاصقين يُعلل احدهما ضعف غلة الآخر لا لسبب سوى اتقان الفلاحة في الاول وقصورها في الثاني

وغالباً يخص الفلاح اسمى عنايتهِ بزراعة الحبوب اقوتهِ والبرسيم لماشيتهِ . ومع عملهِ بالاهمية زراعة القطن في الدورة الزراعية عملاً ومحصولاً وبذلهِ اقصى الجهود الذي يستطيعهُ في تنميته — لانهُ من ثمنهِ يوفي دينهُ ويسدد ضرائب الحكومة ان كان مالكاً او الايجار ان كان مستأجراً ويقضي لوازمهُ — لا يأبى ان يؤخر زرعهُ عن إبانهِ الانسب لنظير حشة برسيم وان يصرف عنايتهُ عنهُ والديدان والعطش تفتك بهِ الى تسميد ارض الذرة واطفاء شراقيهِ

ان معارف الفلاح واحوالهُ الاقتصادية (وشأنهُ في ذلك شأن سائر جمهور الامة على اختلاف مهنها وطبقاتها ايضاً) لا تؤهلهُ الى ترتيب شؤنهِ ترتيباً يمكنهُ دائماً من ان يقتدي بفوات بعض الفائدة الوقتية وان صغرت ما يتلوها من خسارة تخشى او فائدة ترجى وان عظمت او الى اكتناء حقائق الاشياء اكتناهاً يؤول الى تجنب ما يستبين ضررهُ والعمل بما يحقق نفعهُ . والسبب في ذلك ما توارثهُ من الصفات التي تولدت في عصور الاستبداد الغابرة مع فقد التربية والتعليم الصالحين . هذا من جهة ومن جهة اخرى حرمانهُ من وسائل

التعاون المعروفة في الامم الراقية وعدم اخذ الملاك بيدهِ اذا كان مستأجراً ولو باعتبار انهُ اداة من ادوات استغلال مزارعهم يجب ان تعنيهم قوتهُ وصلاحهُ بقدر ما تعنيهم فائدتهم الخاصة

فهذه الاحوال واشباهها من اكبر العوائق في عدم بلوغ غلة الارض المأمول الذي يمكن الوصول اليهِ باستعمال الوسائل المعروفة الآن في الفلاحة حق الاستعمال . وليس بصحيح ما يتوهم الذين يكتبون في الاقتصاديات الزراعية عن جهل الفلاح بالفلاحة ونفورهِ من المستحدثات العصرية فيها فان الفلاحة العملية تتمثل في عمل هذا الفلاح باكثر مما تتمثل في ارقى المعاهد الزراعية وما هي الآن الاَّ عبارة عن قواعد اهتدى اليها الفلاحون بالتجارب ورسخت فيهم بالمزاولة ولم يدوَّن منها في الكتب الاَّ بعض من كلٍّ مما هو معروف في العرف الزراعي على اختلاف بيآتهِ

ان الذين يكتبون في الفلاحة عن خبرة عملية يعترفون بحكمة القواعد التي يعمل بها الفلاح المصري وبانطباعهِ على تنفيذها ويرون ان ترقي الفلاحة لا يكون الاَّ بالبدء من الاساس وهو عمل هذا الفلاح فيجمعهُ ونهذبهُ من جهة بيتاً نكون آخذين بمعارفنا وتجاربنا للزيادة عليهِ بقدر ما يمكن من جهة اخرى . فهل هناك شيء من ذلك الآن يؤبه لهُ ويعوَّل عليهِ ؟ وهل طريقة معاهدنا الزراعية في خدمة الفلاحة الفنية هي الطريقة المثلى ؟ وهل لنا ان نرمي الفلاح بالجهل ولاسيما اننا لا نعرف الاَّ بعض ما يعرف ولا نعمل مثلما يعمل ؟

ان وزارة الزراعة ذاتها تعترف بان طريقتها في الحقول التي انشأتها لتحسين زراعة القطن انما هي اتقان العمل بالوسائل المعروفة فقط . وقد قال المرحوم برش باشا مدير شركة كوم امبو الزراعية ما معناهُ « اننا لم نفلح في استغلال اطيان الشركة بمعارف مهندسينا الزراعيين بل بالجري على طريقة الفلاح المصري »

وقد نشر المقطم منذ مدة عبارة عن لجنة التجارب المركزية بانكلترا اعترفت فيها بحكمة الفلاح المصري في تنمية زراعة القطن بعد ان حاولت عمل تجارب تخالف بعض ما يعمل بهِ فلم تفلح فيها

وكل هذا لا ينفي ان الفلاح يكون احياناً قليل التبصر والحزم في بعض المسائل الزراعية ولكن ذلك لا يكون الاَّ الى حدٍّ محدود وشأنهُ فيهِ شأن سائر اهل الصناعات الفقراء والذين لم تنتشر بينهم مبادئ التنور العام . والحق انا نجد الفلاح من حيث هو فلاح اكثر نشاطاً وامانةً لعملهِ من سائر اهل الصناعات الاخرى

وعندي ان ازدياد ريع الارض لا يتوقف الآن على شيء بقدر ما يتوقف على اصلاح حال الفلاح . وسيجيء في مقالة آتية بحث عن الآلات الزراعية الحديثة وانهُ لم يوافق فلاحنا وظروفنا منها الاَّ بعضها فقط وان الظروف الزراعية لا تسمح بالتوسع في استعمال ما وافق منها الاَّ في المزارع الواسعة والى حدٍّ محدود احمد الالفي

مقطوعية القطن في العالم

بقلم الاستاذ طود

نشرت جريدة التيمس في ملحقها التجاري الذي اصدرتهُ في شهر يوليو مقالة في هذا الموضوع بقلم الاستاذ طود وهو من الثقات الذين يعول على علمهم وخبرتهم في كل ما يتعلق بمحصول القطن وتجارته في جميع البلدان التي تزرعهُ وكتابهُ في « محصول القطن في العالم » من الكتب التي يشار اليها بالبنان . وهذا ملخص ما ورد في مقالتهِ المذكورة

اجمع العارفون على انهُ ستقع مشاكل اقتصادية عظيمة الشأن بعد ما تضع الحرب اوزارها ولاسيما في صناعاتنا الكبرى ولكن قل من يدري ان بعض هذه المشاكل نشأ الآن وبرز الى حيز الوجود قبل ان تنتهي الحرب

مضى على نشوب الحرب زمان استردت فيهِ صناعاتنا الكبرى قوتها بعد الصدمة الشديدة التي صدمت بها فنهضت من كبوتها الاولى والفنا نحن الحالة الجديدة وطبقنا اعمالنا عليها حتى كدنا نرى الامور تعود موقتاً الى مجراها المعتاد ولكن الحالة الحاضرة ستنقلب رأساً على عقب متى ابرم الصلح فيجدر بنا ان نستعد للنزاع القادم متى أتى

وخير مثال يوضح مرادي تجارة القطن فان تأثير الحرب فيها كان في اول الامر هائلاً ومع انها استردت توازنها بعد مدة من اعلان الحرب فحالها لا تزال حرجة تقتضي بالاهتمام بها لمعرفة ما يصيبها بعد الحرب اذ القطن من المحاصيل التي يجب على من يتجر بها ان يمد بصرهُ لطول المدة التي تقع بين الشروع في زرعهِ وبيع منسوجاتهِ للجمهور ولبسها

فالقطن الذي زرع في معظم انحاء العالم الآن لا يباع منسوجاً للجمهور قبل صيف سنة ١٩١٧ وجانب كبير منهُ يبقى الى السنة التي تليها فيجب علينا اذاً ان ننظر في ما يحتمل وجودهُ من القطن في العالم بعد عقد الصلح

الطلب العام على القطن

اذا شئنا تقدير حالة القطن المستقبلة وجب علينا ان نمعن النظر في حالتهِ الماضية وحسبي

ان القول في ذلك ان محصول القطن في ما مضى كان يزداد زيادة سريعة ولكن الزيادة في مقطوعيته كانت اعظم جداً بل ان الادلة والقرائن تثبت ان المقطوعية كانت تزيد اكثر من ذلك لو توفر القطن اللازم لها ولكن قلتهُ حالت دون اتساع نطاقها الاتساع الطبيعي فان تسعة اعشار الثياب التي يلبسها سكان العالم مصنوعة من القطن علاوة على ان القطن يستعمل لامور واعمال اخرى وقد زاد الطلب اولاً بزيادة سكان الدنيا وسرعة انتشار عادة ارتداء الثياب وثانياً بتحسين انواع المنسوجات التي تصنع من القطن تحسيناً عجيباً فكل منسوج الآن يمكن صنعهُ من القطن . ومعظم المنسوجات تصنع منهُ فعلاً

واذا انعمنا النظر في الاحصاءات التي لدينا ظهر لنا منها حقيقتان لهما اتم علاقة بهذه الزيادة في المقطوعية فالحقيقة الاولى هي ان المقطوعية كانت اكثر من المحصول في خمس سنوات من عشر سنوات سبقت اعلان الحرب والثانية ان ثمن القطن في العشرين السنة الماضية زاد تقريباً مئتين في المئة فقد كان سعر القطن الاميركي (مدلن) في لفربول في سنتي ١٨٩٤ و ١٨٩٨ اقل من ٣ بنسات الرطل فبلغ في شهر مايو الماضي ٨ ٣/٤ بنس

وبعد هذا يجدر بنا ان ننظر في تأثير الحرب في تجارة القطن في ما يختص بالموجود من القطن اثناء الحرب فانهُ لما اضطرمت نار الحرب تضعضعت اسواق القطن تماماً فاقتضت الحال اقفالها في لفربول ولیو يورك ونيواورليانس وبرمين والهافر وعينت اسعارهُ بوساطة لجان تقوم بهذا العمل في اثناء اقفال البورصات ولكن تلك الاسعار كانت اعلى من الثمن الحقيقي حينئذٍ . ومما يدل على شدة هبوط السعر ان الثمن الذي دفعهُ تجار نيواورليانس للزراع في شهر اكتوبر سنة ١٩١٣ كان ١٤ سنتاً الرطل (٢٨ مليماً) وكان اقل سعر رسمي في لفربول في شهر دسمبر ٤ ١/٤ بنس مع ان متوسط السعر في العام السابق كان ٧ ١/٤ بنس

تقليل مساحة القطن في اميركا

فهذا الهبوط في سعر القطن اثر تأثيراً عظيماً في زراعتهِ فان نفقة زرع القطن واستغلالهِ في اميركا ارتفعت ارتفاعاً كبيراً في السنوات الاخيرة فلا هبط السعر الهبوط الذي تقدم ذكرهُ رأى الزراع الخراب يعيونهم وقد كنا في انكلترا نعتقد ان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة مقطرة الى زرع القطن لانهُ المحصول الوحيد الذي يجود فيها ولكن الحرب اثبتت فساد هذا الزعم فقد خفضت مساحة الارض التي زرعت قطناً هناك ١٥ في المئة سنة ١٩١٥ وبلغ النقص في البلدان الاخرى كالهند ومصر ٣٠ في المئة فنشأ عن ذلك نقص عظيم في محصول سنة ١٩١٥ .

ولم يطل الزمان حتى ظهر ان الموجود من القطن لا يكفي لسد مقطوعية العالم اذا نشط الطلب بالرغم مما كان يظن من وجود مقادير عظيمة منهُ في شرق اميركا ولم تكد هذه الحقيقة تذاع حتى بدأ الطلب ينشط فاخذت الاسعار ترتفع حتى بلغت منزلة رفيعة في سبتمبر سنة ١٩١٥ وبعد ما كان السعر الرسمي ٤ ١/٤ بنس في ديسمبر سنة ١٩١٤ ارتفع حتى بلغ ٨ ٣/٨ بنس في ١٩ مايو كما تقدم فتضاعف السعر في اقل من ١٨ شهراً

فماذا يكون مصير الحالة بعد ١٨ شهراً من هذا التاريخ

ان الحالة الحاضرة لا تخلو من البواعث على القلق فمحصول هذا العام لا يكون اكبر مما يحتاج العالم اليهِ حتى ولو اقتصرنا على المقطوعية الحالية لان المحاصيل لا تتجاوز المتوسط مع ان المقطوعية ستتجاوز متوسطها ولو في بعض البلدان فاذا نظرنا الى الموجود اولاً علمنا ان كل شيء يتوقف على المحصول الاميركي لانهُ يبلغ نحو ٦٠ في المئة من محصول العالم كلهِ والمحقق ان مساحة الارض المزروعة قطناً في الولايات المتحدة لا تبلغ القدر الاعظم الذي بلغتهُ سنة ١٩١٤ وهو ٣٧٤٠٠٠٠٠ فدان علاوة على ان اركان اقبال الزراعة في هذا العام كملاءمة الاحوال الجوية واستعمال السباخ اللازم ليست وافية بالمرام وقد بلغ المحصول سنة ١٩١٤ نحو ١٧ مليون بالة . وعندي انهُ اذا بلغ ١٤ مليون بالة في هذا العام فذلك فضل من الله لان هذا النقص الحادث من الفرق بين الرقمين المذكورين لا يحتمل سدهُ من سائر البلدان التي تزرع القطن

كثرة الطلب مع غلاء الاسعار

واذا نظرنا الى المقطوعية كان اهم ما يسترعي النظر في حالتنا الحاضرة كثرة الطلب على القطن مع غلاء سعره فالمقطوعية في داخلية بلادنا عظيمة جداً لم يرَ لها مثيلاً منذ زمان طويل وتجارتنا الخارجية لم تمس بسوء . نعم ان معامل المانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك لا تأخذ مقطوعيتها المعتادة ولكن النقص الناشيء عن ذلك سد بزيادة مقطوعية القطن في اميركا والهند واليابان بل الزيادة في مقطوعية هذه البلدان الثلاث تفوق النقص الناشيء عن امتناع البلدان الاربع المذكورة من اخذ نصيبها من القطن كالمعتاد

فقد كانت مقطوعية اميركا نحو اربعة ملايين بالة او خمسة ملايين ولكنها ستتجاوز سبعة ملايين بالة هذا العام والاحصاءات الواردة من اليابان تدل على ان زيادة المقطوعية فيها في هذه السنة حتى الآن (يوليو) ستبلغ ١٨ في المئة اذا قوبلت بمقطوعية المدة عينها سنة ١٩١٤

و يرى من ذلك ان مقطوعية العالم لم تنقص بقدر نقص غلته فهذا الامر اذا قرن بالحالة التي كانت قبل الحرب سيؤدي الى نتيجة واحدة وهي قلة الموجود عن المطلوب وارتفاع السعر

ولا يبرح من البال ان الاسعار الحالية في لفربول زادت ايضاً لصعوبة نقل القطن وغلاء اجور الشحن وقد كان هبوط سعر القطن في سولها بعد شهر مايو ناشئاً عن تسهيل هذين الامرين بعض التسهيل ولكن هذا الفرق لا يؤثر في صحة القياس الذي اوردته لان سعر القطن في نيواورليانس لا يزال غالياً وهو نحو ١٣ سنتاً (٢٦ مليماً) الرطل (ولا علاقة لهذا الغلاء بالشحن بالبواخر) ولا يمكن زيادة المساحة المزروعة قطناً الآن فمحصولنا لهذا العام صار معيناً لا يستطيع البشر زيادته فاذا لم تلائم الاحوال الجوية الزراعة كل الملائمة فيحتمل ان لا يبلغ المحصول القادم مقطوعية العام كلها فاذا يحدث اذا عقد الصلح قبل موعد الموسم القادم وهو لا يكون قبل اغسطس سنة ١٩١٧ اقول ان الآراء مجمعة على ان القطن ينهض نهضة عظيمة لان الاسواق تطلب سدماً فيها من النقص في المنسوجات القطنية . فمن اين يؤتى بالقطن هذا

وجوب زيادة المحصول

والذي يجب علينا الآن الاهتمام به هو حمل الزارع الاميركي على استئناف زرع القطن دون سواه حتى تعود صادرات القطن من اميركا الى ما كانت عليه قبل الحرب والمرجح ان السعر الحالي لا يكفي لاقناع الزارع الاميركي بذلك فاذا اصرّ على رأيه قيلق المشتغلون بتجارة القطن وصناعاته صعوبات تذكر في بضع السنوات القادمة

ان مصانع لنكشير تشكر الله الآن اذا تيسر لها القطن بسعر ٧ بنسات الرطل وكان هذا السعر يعدُّ فاحشاً جداً منذ بضع سنوات ولكن ماذا تفعل مصانعنا اذا ارتفع السعر فوق هذا الرقم هل تعود الى متاع ما اعتدنا سماعهُ قبل الحرب عن وجوب توسيع نطاق موارد القطن عندنا والانتفاع بموارد الامبراطورية للتخلص من الاعتماد على المحصول الاميركي

زيادة مليون بالة في السنة

ان الذي نحتاج اليه هو زيادة محصول القطن زيادة مطردة لا تقل عن مليون بالة في السنة فمن اين نأتي بهذا القدر الزائد سنة فسنة في بضع السنوات المقبلة . ولا يستطاع

الجواب عن هذا السؤال الا اذا اجلنا النظر في جميع انحاء المعمور . واول مكان يتجه اليه النظر طبعاً هو قارة افريقية حيث قضت جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية ٤٠ سنة تجد وتعمل لترقية زراعة القطن . فالبلاد الوحيدة التي ينتظر ان يزاد محصولها في القريب العاجل هي بلاد مصر ولكن جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية لم تُدخل مصر في بيان اعمالها لانها لم تكن تابعة للامبراطورية البريطانية على ان مصر مع حسن حالها لا يرجى ان يزداد محصولها زيادة كبيرة في القريب العاجل لان هذه الزيادة تتوقف طبعاً على تسهيل اعمال الري فالمشروعات الكبيرة التي تفكر حكومة مصر في اخراجها الى حيز الفعل تستغرق زمناً . وما يقال عن مصر يقال مثلهُ واكثر منهُ عن السودان حيث تزداد الصعوبات بقلة السكان فلا يرجى اذاً ان يزداد المحصول من هذه الجهة زيادة تذكر قبل انقضاء عشر سنوات او خمس عشرة سنة

ثم بحث الكاتب في سائر بلدان افريقية فقال ان الآمال بالنجاح فيها ايضاً كبيرة ولكن هذا النجاح يقتضي مالاً ووقتاً ونصباً واجتهاداً فلا ينتظر ان تصدر تلك البلدان مقادير عظيمة من القطن في القريب العاجل وما يقال عن بلدان افريقية يقال ايضاً عن البرازيل وبيرو والمكسيك

وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ ان هنالك ثلاثة بلدان اخرى يرجى منها الخير في المستقبل العاجل وهي روسيا والصين والهند ولا يخفى ان الصين ثالثة بلدان العالم في غلة القطن ويمكن زيادة محصولها زيادة كبيرة ولكن احوالها السياسية الحاضرة لا تلائم توسيع نطاق زرعه فيها بسرعة . اما روسيا فقد فعلت العجائب من هذا القبيل في الزمن الاخير ولكن زيادة محصولها لا تكفي لسد الزيادة في مقطوعيتها فلا يبقى لنا سوى الهند وهي تقل اكبر محصول بعد اميركا ومحصولها يبلغ خمسة ملايين بالة مقابل ١٥ مليوناً في اميركا ولكن قطنها ردي جداً . على ان احوال الهند وكثرة الطلب على القطن تمكن من زيادته حتى يتضاعف في خمس سنوات او عشر وقد كانت مساحة الارض المزروعة قطناً فيها ٢٥ مليون فدان سنة ١٩١٤ وفي حكم الطاقة توسيع هذه المساحة بتحسين طرق الري

وقال الاستاذ طود في الختام ان مسألة القطن من المسائل التي يجب ان تسيرها اعظم جانب من الاهتمام فلا نتوانى فيها كما هي عادتنا حتى يفوت زمن الاصلاح وتلافي الخلل فان درهم وقاية في وقتهِ خير من قنطار علاج

دود لوز القطن

(تابع ما قبله)

يصعب تقدير الضرر الذي يصيب القطن من دودة اللوز لان ضررها يختلف باختلاف تبكير الموسم وتأخره فيكون قليلاً في الاول وكثيراً في الثاني وسبب ذلك ان دود اللوز يتوالد كثيراً في غضون السنة ويكون توالدهُ على اقلهِ في الشتاء واوائل الربيع ثم يزيد بزيادة نمو القطن حتى شهر اكتوبر حينما يكثر اللوز اللازم لغذائهِ فيزيد هو كثرة

و يظن المزارعون ان برودة الهواء وكثرة الضباب تزيدان دود لوز القطن والحقيقة انهما من الاسباب التي تؤخر بلوغ لوز القطن فيبقى الكثير منهُ اخضر فيكثر غذاء الدود بسبب ذلك ويخف الضرر بسبب الضباب وخفتهُ توافق الدود لانهُ ينشط في الظلام او في قلة النور

ودود اللوز هذا اذا ظهر قبل ظهور الرسواس سطا على الاغصان الطرية فيأكل اطرافها و يدخل جوفها يأكل فيهِ الى ان يبلغ المادة الخشبية فينتقل الى طرف غصن آخر ويعمل جرًّا والغصن الذي تخرهُ الدودة يذبل و يسود لونهُ واذا قطع تحت المكان الذابل فقد يوجد الدود فيهِ

وحينما يظهر الرسواس (او برعم اللوز) ينتقل الدود اليهِ لانهُ يفضلهُ على الاغصان فيسقط والدودة فيهِ الى الارض ولكن الدودة تفارقهُ وتنتقل الى غيرهِ وقد تدخل زهر القطن وتأكل اعضاء التناسل فيهِ فتجعلهُ عقيمًا واذا دخلت الدودة لوزة افرزت مادة تسدُّ بها الثقب وراءها لكي لا تدخلهُ حشرة اخرى وتضربها . وقد تقتصر على برج واحد من اللوزة وقد تتلف ابراجها الثلاثة او تتلف اكثر من لوزة واحدة واذا كانت اللوزة صغيرة فالغالب انها تيبس وتبقى مكانها او تسقط . واذا كانت كبيرة قريبة من البلوغ فالغالب انها تفتح قبل ميعادها وتتعرَّض لمادة فطرية تسود بها ولا تسود صالحة للشيء

وحينما يبرد الهواء في الخريف تطول المدة التي تبقى فيها هذه الحشرة دودة واذا تمَّ جني القطن حينئذٍ وقلع شجرهُ وحفظ وقوداً بما فيهِ من اللوز الاخير بقي الدود في هذا اللوز يأكل من بزرهِ فاذا لم يكن مالفًا مات بجفاف اللوز ولكن ان كان قد بلغ اشدهُ خرج وصنع شرنقة حريرية صفراء سميكة واقام فيها زمنًا وبقي هناك الى ان يدفأ الهواء فيتحيل

فراشة تبقى في مكانها او تطير وتبيض على النباتات التي تعيش صغارها عليها من القطن العفر والباسياء والتيل مما تجدهُ في الارض حيثما تضع بيضها عند اسفل النبات في مكان خفي وقاية لهُ لان الغذاء الذي تجدهُ قليل قد لا يكفيها فلا يحسن ان تتعرَّض لمخاطر اخرى

والمرجح ان عشر الدود الذي يتولَّد من البيض الاول يبلغ اشدهُ ويصير فراشاً ولكن الدود الذي يتولد في النوب التالية يعيش نصفهُ ويصير فراشاً

ويظهر من التجارب التي جربها المستر ولكس ان الفراشة الواحدة تبيض في دسمبر ويناير ١٤٠ بيضة وقد لا تبيض الاَّ ثمانية ايام وقد تبقى تبيض ٤٤ يوماً . وباضت فراشة في سبتمبر مدة خمس ليلات ٢٣٣ بيضة

فاذا فرضنا أن الفراشة تبيض في الدور الاول ١٤٠ بيضة وان ١٤ منها تسلم (اي عشرها) وتصير فراشاً ٧ ذكوراً و٧ اناثاً وكل زوج منها يبيض ٢٠٠ بيضة فتبيض كلها ١٤٠٠ بيضة واذا سلم نصفها اي ٧٠٠ او ٣٥٠ زوجاً وباض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة بلغ مجموع بيضها ٧٠٠٠٠ بيضة فيعيش نصفها ويصير فراشاً اي ٣٥٠٠٠ او ١٧٥٠٠ زوجاً يبيض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة فيتولد منها ٣٥٠٠٠٠٠ دودة وعليهِ فالفراشة الانثى التي تبيض في يناير يتولد من نسلها في اكتوبر ٣٥٠٠٠٠٠٠ دودة اي ثلاثة ملايين ونصف مليون

القطن ودودهُ ودود لوزهِ

ظهر الدود الكبير الذي يأكل ورق القطن وكل ما هو اخضر فيهِ فبُذلت الهمة في استئصالهِ حتى اذا كادت الاخبار تتفق على انهُ لم يبقَ لهُ اثر في الوجهين القبلي والبحري عاد الى الظهور في الوجه البحري في اواسط اغسطس وانتشر في بعض الاماكن وفتك فتكاً ذريعاً ولكن انتشارهُ خاص بتلك الاماكن على ما يظهر ونحن نكتب هذه السطور وامامنا علبة كبيرة من مركز دسوق فيها من ورق القطن ولوزهِ وفيها كثير من دود القطن وقد اكل الورق وثقب اللوز ودخلهُ واكل ما فيهِ ولا يزال موجوداً في اللوز

اما دودة اللوز الرمادية فكثيرة الانتشار جداً وتختلف كثرةً باختلاف الفيضان فان اللوز المصاب بها لا يزيد على نحو خمسة في المئة في بعض الاماكن ولكن يقال انهُ بلغ نحو اربعين او خمسين في المئة في اماكن أخرى . اما نحن فلم نرَ انهُ اكثر من عشرة في المئة

في الاقطان التي فحصنا لوزها وجدنا الاً قليلاً جداً من دودة بزرة القطن القرنفلية . فيحتمل ان تبقى ضربة دود اللوز خفيفة ومحصورة في بعض الاماكن ويحتمل ان تزيد شدةً وانتشاراً في شهر سبتمبر

اما نمو القطن فجيد بنوع عام والذين بكروا في زرعه كادوا يجنونهُ لان الحر الذي حدث في يونيو ويوليو فاق المعتاد فنما به القطن كثيراً

وقد ثبت الآن ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً قلما تزيد على مليون وستمائة الف فدان فاذا لم يشتد فتك الدود به وبلغ متوسط الفدان اربعة قناطير بلغ المحصول ستة ملايين ونصف مليون قنطار واذا كان متوسط ثمن القنطار ٥٤٠ قرشاً بلغ ثمن محصول هذه السنة ٣٥ مليوناً من الجنيهات

ويظهر من مقالة الاستاذ طود المنشورة هنا انهُ اذا استطاعت الحكومة المصرية ان تستأصل شأفة دودة القطن ودودة لوزه فلا خوف من ان ازدياد مساحة ما يزرع من القطن في هذا القطر ترخص ثمنهُ ولو بلغت مليوني فدان او اكثر

الصادرات الزراعية

زادت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو نحو ثلاثة ملايين جنيه عن مثلها في العام الماضي والزيادة كلها من الذرة والسكر والبيض والقطن ولولا النقص في قيمة بعض الصادرات كسبائك الذهب والفضة لكانت الزيادة اكثر من ذلك لكن الزيادة في الواردات اكثر كثيراً من الزيادة في الصادرات فانها بلغت سبعة ملايين وثلث مليون من الجنيهات وبعضها في ما يمكن الاستغناء عنهُ كالامتعة الخشبية والآنية الزجاجية والمنسوجات القطنية والكتابة وبعضها فيما لا غنى عنهُ كالفحم الحجري والحديد والبترول او فيما دعا اليهِ وجود الجيوش البريطانية كالبيرا وبعض الاطعمة والاشربة

وعسى ان يقف تجار الوارد عند هذا الحد . واما الصادرات فستزيد قيمتها بارتفاع سعر القطن وقد بلغت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو ١٧٣١٤٥٠٣ جنيهات اي نحو ٧٠ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ولا يبعد ان يصدر الى آخر السنة اكثر من ثلاثة ملايين قنطار مع بزرتها واكثرها من السكالار بدي تباع لاوربا واميركا بنحو ١٨ مليون جنيه فتبلغ قيمة الصادرات في آخر السنة ٣٥ مليون جنيه

مؤتمر القطن
واقتراح على الحكومة

جاء في العدد الاخير من مجلة الزراعة في جزائر الهند الغربية واذا كلمة في وصف مؤتمر زراعي عقد هناك في اواسط شهر مارس الماضي موضوعه زرع القطن في تلك الجزائر. وقد استمر المؤتمر ستة ايام وتليت فيه خطب ومذاكرات كثيرة لم تخرج عن موضوع القطن من حيث زرعه ومحصوله والسعاد الصالح له واختيار نقاويه وطول شعرته ونعمتها ومتانتها واسعاره الى غير ذلك مما تهم معرفته كل المشتغلين بزرع القطن وتصديره والاتجار به

وقد يظن لاول وهلة ان محصول هذه الجزائر يبلغ ملايين من القناطير والحقيقة ان محصولها بلغ في السنوات الخمس الماضية ١٠٣٢٠٧ قناطير فالمحصول السنوي نحو عشرين الف قنطار اي مثل محصول ابعدية واحدة في هذا القطر. افلا يحق والحالة هذه لكل مديرية في هذا القطر ان تؤلف مؤتمراً زراعياً ينظر في زراعة القطن وغيره من المزروعات بل يحق لكل مركز ان يفعل ذلك. ولكن لما كان الري اهم ما ينظر فيه فمن الحكمة ان يؤلف مؤتمر لكل منطقة من مناطق الري في القطر المصري يجتمع فيه كبار المزارعين في تلك المنطقة مرة في السنة ويتبادلون الآراء ويشيرون على الحكومة بما يجب عمله لاصلاح الري في منطقتهم

وقد اهتم البعض بانشاء مؤتمر زراعي لمديرية الفيوم فحسن ان تنشطهم الحكومة سيفي ذلك لاسيما وان مديرية الفيوم منطقة قائمة برأسها من حيث الري. واطيانها الزراعية غير آخذة حقها من الماء الصيفي فلا يروى قطنها الا مرة كل عشرين يوماً واذا تمكن مزارع من الحصول على الماء لري قطنه كل عشرة ايام جاء محصوله مضاعف محصول قطن جاره الذي لا يروى الا كل عشرين يوماً. والناس يشكون ويطلب المديرية طلب ان تجعل مدة المناوبة ثمانية وثمانية حتى يروى القطن مرة كل ١٦ يوماً ولكن مصلحة الري لم تلبِّ طلبه فاذا عقد مؤتمر رسمي برعى الحكومة وحضره بعض رجال وزارة الزراعة ومصلحة الري واقر على شيء بعد بحث مدقق فمن المحتمل ان تعمل الحكومة بقراره

ويستخلص من اعمال المؤتمر المشار اليه آنفاً

اولاً ان القطن ليس اهم حاصلات جزائر الهند الغربية فغاية ما بلغه في بعضها ان ثمن الصادر منه بلغ ٣٦ في المئة من قيمة الصادر كله وقد لا يزيد في البعض الآخر على ٢ في المئة

ثانياً ان متوسط محصول الفدان قليل جداً لا يقاس بمحصوله في القطر المصري فقد كان متوسط محصول الفدان مدة ١٢ سنة ١٤٤ رطلاً من القطن الشعر

باب تدبير المنزل

قد افتتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما نعلم انهُ من شؤون البيت متعلقاً من تربية الاولاد وتدبير الطعام والثياب والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الدوسنطاريا

الدوسنطاريا او السحج التهاب فتقرح يصيبان اسفل المعى الغليظ . وهو اما محلي غير معدٍ ولا وبائي واما وبائي معدٍ سببهُ مكروب حيواني لا نباتي اسمهُ الاميبا . واعراضهُ اسهال متواتر ومغص وزحير وظهور مواد مخاطية دامية في البراز فتكون قليلة او كثيرة . وهو من امراض الاقاليم الحارة كمصر في الغالب ولكنهُ قد يظهر في الاقاليم الباردة . يسميهِ اهل سورية زنطاري او زنطارية ويشتقون منهُ فعلاً فيقولون في الدعاء على عدوٍّ «زنطاري تزنطرك» مما يدلُّ على شدة خوفهم من هذا المرض وتوهمهم بهِ منذ زمن طويل

وهو من الامراض الدقيقة كالتيفوئيد لانهما كليهما يصيبان الامعاء الاول الدقيقة والثاني الغليظة وهي ذات نسج دقيق نحيف

وانواعهُ السحج الملاري والاسكربوطي والمزمن والمشتبك والحاد ولكل منها علاج خاصٌّ بها . فان كان من النوع الخفيف الوطأة عولج بالمسهلات كزيت الخروع والملح الانكليزي وملح الطرطير تؤخذ جرعات صغيرة متكررة مدة يوم او اكثر اذا اقتضى الامر . وتوضع الثرقة الحارة على البطن . ويجوز شرب الماء المثلج لارواء العطش بشرط المحافظة على نقاوة الماء . اما الطعام فاللبن والمرق والمواد النشائية وماء الشعير بعد اغلائهِ حتى ينضج

وان كان من النوع الحاد المعدي عولج بالايبكاك (خلاصة جوزة القيء) شرباً او بالحقن تحت الجلد بجادة تسمَّى «امتين» وهي مادة مستخرجة من الايبكاك واقوى منهُ فعلاً لانها خلاصتهُ . اما المزمن فيعالج بالقوابض كمسحوق دوفر وغيره مع شدة الانتباه الى طعام المريض والوسائل الصحية التي تستعمل لهُ

وعلى ذكر «الامتين» نقول ان المقطم اشار غير مرة الى علاج اكتشفهُ حضرة

الدكتور بجري لمعالجة المصابين بالاسهال البسيط والدوسنطاريا . ولقد اخبرنا حضرة الدكتور ثيتالي طبيب مستشفى الخيات الاميري في العباسية انهُ جربهُ في نحو خمسين اصابة بالدوسنطاريا في المستشفى نجاء بنتائج قال في وصفها انها بديعة . على ان الحكم البات في فائدة هذا العلاج او ذاك يستلزم عملاً كثيراً ووقتاً طويلاً . والعادة في مثل هذه الاحوال اي عند اكتشاف علاج جديد ان يؤخذ عدد معلوم من المصابين بالمرض الذي اكتشف العلاج لهُ و يعالجون بهِ . و يؤخذ عدد مثلهم و يعالجون بالوسائط الاخرى المعروفة . ويكرر ذلك مراراً في مدة طويلة . فاذا اسفرت النتيجة عن شفاء عدد اكبر من المصابين باستعمال العلاج المشار اليهِ في معالجتهم حكم بافضليتهِ على غيرهِ

وقوام علاج الدكتور بجري الاكحلين ومبدأهُ ما هو معروف عن الاكحلين من تنبيه الجسم وتقويتهِ بتنقية الدم وتطهيرهِ من الشوائب . فاذا حقن الجسم بهِ قوى كريات الدم البيضاء او خلاياهُ على اقتحام وظيفتها الخاصة بها وهي ابادة المكروبات او الخلايا الضارة التي تدخل الجسم بالاحاطة بها وابتلاعها

نعسى ان يمتحن هذا العلاج امتحاناً رسمياً انصافاً لصاحبهِ وتشجيعاً لغيرهِ من المشتغلين بالعلم وعسى ان تسفر التجربة عن نفع علاجهِ جزاء اجتهادهِ

اعداد القهوة

القهوة مشروب شرقي عربي كما ان الشاي مشروب شرقي صيني . وقد اقتبسها الغربيون عنا فلم يحسنوا الاقتباس او احسنوا ولكنهم لم يزيدوا تقنا عليها خلافاً للمعروف عنهم في سائر ما يقتبسون او يستعيرون . فحكاية اقتباس الانكليز للشاي من الصين مشهورة . ولغرابتها نشروها في الكتب المدرسية التي يدرسها اولادهم على ما فيها من دواعي سوء الظن بفطنتهم ولكنهم لا يبالون لانهم لا يكرهون ان ينتقدوا اذا كان وجه النقد صحيحاً و يكرهون ان يمدحوا ولو مدحاً في محلهِ . وخلاصة تلك الحكاية انهم كانوا في مبدإ اقتباسهم للشاي يغلون اوراقهُ و ينشرونها على قطعة من الزوستو و يأكلون الصنفين جملة . اما السائل فيلقونهُ القاء النفاية !!

هذا عن الشاي . اما القهوة فقد اقتبستها اوربا كلها وكان الفرنسويون اشدهم شغفاً بها ومع ذلك يستطيبون القهوة الشرقية و يفضلونها على قهوتهم . والشرقيون يختلفون في اعداد القهوة ومقدار حلاوتها او مرارتها ما بين حلوة كثيراً ومرة « سادا » . ولكن العرب

احسن الشرقيين تعليلاً لها والقائلُ بفضلها . وقد رأينا بعض عرب البادية يهيئونها على الطريقة الآتية

يأتون بقدر من البن لا يزيد على حاجة اصابعهم فيحمصونهُ في مقلى من الحديد او الفخار وهم يحركونهُ بملعقة من الحديد حتى يفسح ثم يدقونهُ في هاون من الخشب ويغربلون في دقهِ حتى ان الذي يسمع ولا يرى يخيل اليهِ ان ليس في الامر دق قهوة بل حفلة طرب ونقر دربكة . ثم توضع العلاية على النار حتى تغلي فترفع وتلقم بنًّا كثيراً وسكراً قليلاً وتعاد الى النار حتى تأخذ في الفوران فتدار على الضيوف وبعد ربع ساعة او نحو ذلك يأتون بقهوة مرة

ويشترط في القهوة ان لا تغلى على النار لان اغلاءها يطير ما بها من المادة العطرية فتفقد كثيراً من لذة طعمها . على انهُ اذا اريد بها التنبيه اولاً والمذة ثانياً وجب اغلاؤها لانهُ افعل في استخراج العنصر المنبه الذي فيها وهو المسمّى « كافايين »

وقلما يشرب الانكليز والاميركيون والالمان القهوة صرفة وانما يمزجون بها اللبن في طعام الفطور فيحقونها لذلك سمناً معتدلاً تبقى بهِ خشنة . ولكنهم اخذوا يشربونها صافية الزمان الاخير صرفة وقد قرأنا وصفاً لطريقة اعدادها جاء فيهِ ان احسن القهوة تصنع من من مزيج ثلثاهُ بن جاوي والثلث الآخر بن عدني (واردمخا) فيحمص ويسحق ويشرب جديداً . ويوضع في كل رطل ماء ملعقة كبيرة من القهوة او ملعقتان او ثلاث حسب الاستحسان . وتطبخ القهوة في ماء مغلي . وكلما بولغ في سحقها حتى تخرج ناعمة كان ذلك خيراً

نفع الشمة

ظهرت الكولرا في مدينة نيويورك منذ سنين كثيرة فنشرت جريدة الصن (اي الشمس) صورة وصفة ادعت انها تشفي من الكولرا فسميت بعد ذلك باسمها وقيل The Sun cholera cure. اي دواء الكولرا الناجع لجريدة الصن . وقد اتضح فيما بعد أن الوصفة قديمة كان الاطباء يستعملونها في الهند لعلاج اعتقال الامعاء والميضة والاسهال الحاد وما شاكل من الامراض لا لعلاج الكولرا . وهي مؤلفة من صبغة الفلفل الاحمر وصبغة الافيون وصبغة الراوند وروح النعنع وروح الكافور في اجزاء متساوية

وعلى ذكر صبغة الفلفل الاحمر المدروفة طبًّا باسم (Capsicum) اقول انا سمعنا بعضهم يقولون ان عامة المصريين في بعض البلاد يداوون الدوسنتاريا والاسهال وغيرهما من امراض الامعاء الحادة باطعام المريض شيئًا من الفلفل الاحمر الحريف الطعم وهو المعروف باسم « الشطة » فيشفى . ولا نعلم مكان هذا القول من الصحة ولكن الصبغة المذكورة تستعمل طبًّا للغرغرة في التهاب اللوز والدفتيريا وللشرب في بعض العوارض والامراض كالملص والدسنتاريا والملاريا وغيرها وانها مضادة للفساد ومقوية للجسم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحًا ترغيبًا في المعارف وايضاحًا للمبهم وتسهيلًا لملاذهان . ولكن المهمة في ما يندرج فيه على اتساعه لعمر الامة كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة الترمن الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلط غير عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستقدر على انظارنا

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

سيدي محرر المقتطف

لم اتعجب لمبادرتكم الى التنويه بمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » في صدر « باب الاخبار العلمية » من محكم الغراء ، فقد عرفتُ « المقتطف » كما عرفهُ غيري « شيخ المجلات العربية الراقية التي يُهتدى بهديها في خدمة العلم والأدب » فلم يكن بمستغربٍ على صحيفتكم الجليلة التي هي عقدة الأمل في انشاء « المجمع اللغوي العربي » بالقاهرة ان تعنى هذه العناية بعملٍ يُعتد به ترويج آداب العربية ورفع كرامتها في ديار الغرب وفي مقدمتها بريطانيا العظمى ، وانما وجه التعجب هو ان معظم المساعدة الحقيقية التي نالها المشروع من القطر المصري المتنوِّر مركز النهضة العربية جاءت من غير ابنائه . وهذه المساعدة الفعلية لا تزال مع ذلك ضئيلة لا تستحق الاعتبار

عرفَ اخواننا السوريون الاماجد على تباين مذاهبهم بخدمة اللغة العربية والغيرة على رفع علمها في اي مكان نزلوا به حتى صار يُضرب بهم المثل في القدرة على هذا التبشير

الادبي المشكور، وعدّت من منجزاتهم اصدار صحف عربية يومية في العواصم الاميركية. وكنت شهد بفضلهم هذا كلّ عالم وأديب منصف، وزكّى هذه الشهادة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم. ويقيني انهُ لو كانت المواصلة بين لندن واقطار السوريين غير مقطوعة لاغنانا فضلاء الشاميين مستقلّين عن الليرات القليلة التي نجمعها بمشقة من بقية الاقطار العربية. ولكن أليست اللغة العربية هي لسان الامة المصرية ايضاً، واي مغرم لها في عمل كهذا اذا كان لامتي في نجاحهِ اقلّ نصيب؟ اشاهد من صديقي السوري مسيحيًا كان او مسلمًا ومن اخي المصري المسيحي غيرةً فائقةً على تكريم العربية باعتبارها اللسان القومي لكل منهما، ولكني اذا سألتُ اخي المصري المسلم الذي يعتبر «الضاد» لغة كتابهِ المقدّس بذْلَ مثل هذه العناية اكتفى باظهار «رغبتهِ الاكيدة» في ذلك او عرّض قائمة أسئلتهِ ثم ولّى بوجههِ وملؤهُ الريبة والتهيُّب والجزع! وهناك فريقٌ آخر وجد انّ اسلم طريق لهُ ان يصف عاجزاً مثلي وبقية زملائي الافاضل اعضاء «اللجنة التحضيرية» بالنبوغ والأهمية وما شاكل ذلك من ألقاب المدح الذي يُكال جزافًا، ولم ينل العمل ذاتهُ شيئًا من تعضيدهِ! وليس معنى هذا أني اصدر حكماً مطلقاً لا شواذ لهُ، ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي انّ ابناء وطني الاذكياء المتعلمين لا يعرفون الانفاق فيما يستحق الانفاق من اجلهِ، وكثيراً ما تتنابهم الشكوك بعضهم ببعض والخوف من فشل الاعمال، ولهذا قلّما تقوم لنا قائمة، فبات يكاؤنا اطول من سرورنا بل اضعاف اضعاف

وانى على عجزي أُترّعُ امتي على فرط تقصيرٍ وطولِ عويلِ
سجيّةُ قلبٍ مخلصٍ في ودادهِ وما عتبُ قلبٍ مخلصٍ بقليلِ

وما كنتُ ممّن يتولاّهُ اليأس الذي طالما تغلّب على قلوب ممّن ساقتهم الظروف للدعوة الى الاعمال العمومية النافعة فلم يصادفوا آذاناً واعية، فاني لا زلتُ واثقاً من انّ املي سيتحقق باشتراك مواطني الاعزّاء الفضلاء اشتراكاً فعليًّا وجيهاً في انفاذ هذا المشروع على اوجه الامكان بتقدمهم في ذلك ذوو الحيثية والمكانة العلمية والادبية منهم. ومهيهات ان يخطر ببالي او ببال احد زملائي الغيورين طرح هذا العمل الجليل ظهريًّا، وانما الخشي ان يطول اجل الانتظار، اذ لا فائدة تجتنى من البناء على غير اساس، وما لم تضمن «اللجنة التحضيرية» من اهل اليسار الحاتميين وعظماء العرب ومحبي العربية تبرّعاً سنويًّا دائماً لا يقل عن ثلاثمائة جنيه (وهو قدر زهيد بالنسبة الى مراتبهم وفائدة هذا العمل) فلا سبيل امامها غير التمهّل ومواصلة الدعوة، فليس القصد مجرد انشاء جمعية ذات اعمال صورية عديمة

الاثر ، بل الغرض اعظم من ذلك . وبهمنا كما قال حول على الجمعية بعد تأسيسها ان تبدو شيئاً فشيئاً ثمار غرسها من معرّبات ومترجمات ومخطوطات منشورة ، ومن محاضرات ومقالات ودروس نافعة متواصلة في شتّى المباحث الادبية والعلمية مما يعود على العربية واهلها بالصيت الحسن والذكر العاطر ، تاركة المنزلة الادبية للامم بسيرتها وحسن سمعتها ولا كرامة لشعوب يُظن انها في عداد الاموات لا علم ولا ادب لها

ربما كان من الفائدة ان اذكر في هذا المقام ان جميع التبرّعات التي تلقّتها اللجنة مودعة في « المصرف الاهلي المصري » بلندن (The National Bank of Egypt, London.) وان امين صندوق اللجنة هو حضرة احسان افندي البكري وان قوائم التبرّعات ستُنشر تباعاً في المقتطف . وقد منعت الشواغل الخاصة حضرة قرياقص افندي ميخائيل عن مواصلة الاشتراك معي بوظيفة « كاتم سرّ اللجنة » فاضطر الى الاعتزال واصبحتُ وحدي متحملاً تبعة أعمال هذه الوظيفة

ولعلّهُ من المفيد ايضاً ان أُشير الى انتقاد وجههُ اليَّ أحد الادباء وقد اطلع على خطابي الذي ألقيتهُ في دار « الجمعية الاسيوية الملكية » بلندن في غرة مايو الفائت فانهُ اخذ عليَّ قولي : « اللغة العربية هي لغة الامة المصرية سواء في ذلك مسلمها ومسيحيها وموسويها . وما اللغة الهيروغليفية او اللغة القبطية او اللغة العبرانية في مصر الاّ من آثار التاريخ تُدرس لفائدته ولمعرفة مآثر اجدادنا العظام » مستنتجاً اني بصورة تعبيري هذا اشجّع اهمال اللغة المصرية القديمة . وهو استنتاج خطأ فان سياق الكلام لا يؤدي الى ذلك . وأما عن رأيي في هذا الصدد فحسبي ان اقول اني طالما لاحظتُ وبنفسي شيئاً من الدهشة والاسف عدم عناية « الجامعة المصرية » بتدريس اللغة الهيروغليفية واللغة القبطية مع وجود مثل صاحب العزّة العالم الأثري الفاضل احمد بك كمال مثاراً لمصر . ومثلهُ لن يضنّ بما فيهِ نفع امته . أليس من العيب الفاضح ان يكون الاجانب اعلم منا بتاريخنا . وان يضطر ابناؤنا الى السفر لباريس ولندن لدرس علم الآثار المصرية بدل ان يحجّ الطلاب من جميع الامم لهذا القصد الى مصر كعبتها ومهدها ؟ فحاشا ان احثّ على غير ما يشرف بلدي . فليهدأ بال حضرة الاديب المنتقد ولهُ الشكر وان اخطأ على شعورهِ الحيّ

احمد زكي ابو شادي
(طبيب)

الصناعة الوطنية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اراكم في ما تكتبونهُ عن الصناعة الوطنية لا تميلون الى تنشيط الصناعات الكبيرة كغزل القطن ونسجهِ مع ان القطن الخام اهم حاصلات القطر المصري . واهالي اوربا واميركا والهند واليابان يشترون القطن منا و يغزلونهُ وينسجونهُ و يبيعونا اياهُ منسوجاً بثمن عالٍ فيضيفون اليهِ اجرة الشحن دهابًا وايابًا واجور الصناع وارباب التجار ولو غزل ونسج عندنا لتوفر علينا جانب كبير من ذلك

ومن هذا القبيل صناعة الورق فان الورق يصنع من الخرق ويمكن عملهُ من نبات البردي ويسهل الحصول عليهما في هذا القطر

ومن هذا القبيل ايضاً عمل الزجاج فان موادهُ الاصلية الرمل والقلي كثيرة في هذا القطر فلماذا لا نصنع كل الزجاج الذي نحتاج اليهِ ونصدر منهُ الى السودان وبعض البلدان الشرقية

ومن ذلك زرع التوت وتربية دود الحرير لكي يصير عندنا مقدار كبير من الحرير فنحلهُ ونسجهُ ونتاجر بهِ

وقد ذكرتم غير مرة ان تراب الخزف الصيني موجود في اسوان فلماذا لا نصنع انواع الخزف الصيني منهُ

نعم انكم تذكرون هذه الصنائع كلها وتشرحونها ولكنكم لا ترغبون ابناء الوطن في الاقدام عليها فهل ذلك لانكم تظنونها غير رابحة او لانكم تظنون انهُ لا يمكن اتقان هذه الصناعات هنا

مصر احد القراء

[المقتطف] لقد اصبتم في اننا غير واثقين تماماً بربح هذه الصناعات اذا أُنشئت لها المعامل الكبيرة هنا كما انشئت في اوربا واميركا

مثال ذلك معامل الغزل والنسج فالمعمل الذي أُنشئ في العاصمة للغزل والنسج منذ بضع سنوات خرب وخسر مشترو اسهمهِ اموالهم وذلك اولاً لان اكثر المنسوجات القطنية التي تستعمل في القطر المصري والسوداني لا تنسج من القطن المصري الغالي الثمن بل من قطن اميركي او هندي رخيص الثمن واذا نسجنا القطن المصري الجيد الغالي الثمن لم نستطع

ان تناظر المنسوجات الاوربية الرخيصة المنسوجة من قطن رخيص . وهب ان سكان هذا القطر استشاروا كلهم وعرفوا ان الغالي هو الرخيص وانهم اذا اشتروا المنسوجات التي من قطن مصري جيد فذلك اربح لهم ولو كانت اغلى من المنسوجات الاوربية فمقطوعية القطر المصري من المنسوجات القطنية قليلة جداً بالنسبة الى محصول القطن المصري فان مقطوعية القطر المصري في السنة من هذه المنسوجات اقل من نصف مليون قنطار واذا كانت من القطن الجيد بلغت ربع مليون قنطار ولا يخفى عليكم ان محصول القطن المصري يبلغ نحو سبعة ملايين قنطار فربع مليون قنطار او نصف مليون قنطار لا تؤثر تأثيراً كبيراً في استهلاك المحصول

ثم انهُ وجد بالاختبار ان هواء القطر المصري لا يناسب لانشاء معامل الغزل والنسج لانهُ يتولد كهربائية كثيرة في معامل القطن بسبب جفاف الهواء فيتباعد شعر القطن بعضهُ عن بعض ويعسر غزلهُ . ولما كان معمل العاصمة دائراً اضطرَّ مديروهُ ان يدخلوا فيهِ حنفيات تذرُّ بخار الماء فيهِ دواماً ليبقى هواؤهُ رطباً ويقل تولد الكهربائية وهذه نفقة كبيرة ضائعة سدًى

وفوق ذلك فان اعمال الغزل والنسج في المعامل الكبيرة تقوم كلها الآن بالآلات التي يحركها البخار ولا بدَّ لذلك من احراق كثير من الفحم الحجري وليس في القطر المصري فحم حجري فتلزم ان تجلبهُ من بلاد الانكليز ويرفع ثمنهُ واجرة شحنهِ . واجرة شحنهِ من هناك الى هنا لا تقل عن اجرة شحن القطن الذي يغزل وينسج بهِ . ولا بدَّ من ان تضاف اجرة شحن الفحم الى ثمن ما يغزل وينسج من القطن

وكل ما تقدَّم عن صعوبة انشاء المعامل الكبيرة للغزل والنسج لا يصدق ضرورة على المعامل الصغيرة للغزل والمعامل التي فيها انوال كافية لمقطوعية البلاد من الاصناف العالية ولاسيما اذا كانت المنسوجات ممزوجة من القطن والصوف او القطن والكشان او القطن والحرير . وهذه المعامل آخذة في الانتشار رويداً رويداً ولا تحتاج الى رأس مال كبير ولا تستلزم ان يكون منها ربح يوزع على اصحاب رأس المال بل يكتفي الصانع منها ان يكتسب منها ما يقوم بمعيشتهِ

اما صناعة الورق فجربت في سورية وكنا نطبع المقتطف في سنتهِ العاشرة وما بعدها على الورق السوري وكان جيداً ولكن صاحب المعمل خسر واضطرَّ ان يبطلهُ لان القوة المائية التي كان يعتمد عليها لا تدوم كل السنة فيضطر ان يوقد حطباً وفحماً لادارة الآلات

فزادت نفقاته ناهيك انهُ كان مضطرًّا ان يجلب اكثر المواد التي يصنع منها الورق ويقصرهُ من اوربا فتعذر عليهِ ان يناظر المعامل الاوربية في رخص الورق . والغرض من الاعمال الصناعية الكسب في هذه الدنيا لا الثواب في الآخرة

وقد شاهدنا في معرض الاسكندرية الصناعي ورقًا يقال انهُ صنع في القطر المصري من البردي . فاستغربنا كيف يغفل الانسان عن الميدان التجاري اذا غوى بامر من الامور . قلنا للذي ارانا ذلك الورق هل يمكنكم ان تصنعوا لنا ورقًا للتغليف والقطع وتبيعوا الكيلو منهُ بالثمن الذي يباع بهِ في السوق فقال كلا فقلنا فما الفائدة اذًا من عمل هذا الورق وقد كان الورق يصنع في القطر المصري من قديم الزمان وكانت مصر مشهورة بورقها وكان يصدر ورق البردي منها الى بلاد اليونان والرومان وهو لا يصلح للكتابة الآن ولما جاء العرب صنعوا ورقًا يصلح للكتابة وكتبوا كل كتبهم عليهِ ويستطيع كل احد ان يصنع ورقًا مثلهُ ولكن ما يشترى بعشرة غروش من ورق اوربا لا يمكن عمل مثلهِ على تلك الطريقة باقل من اربعين او خمسين غرشًا . وقد لا يصعب علينا ان نبتاع الآلات لعمل الورق وننشئ معملاً للوراقة بنفقة معتدلة لا تزيد على ثلاثين الف جنيه او اربعين الف جنيه ولكن هل نستطيع ان نبيع ورق هذا المعمل بالسعر الذي يباع بهِ ما يماثلهُ من الورق الاوربي . فان كان ذلك ممكنًا وجب المبادرة الى انشاء هذا المعمل والاَّ فانشاؤهُ خطأٌ من باب تجاري لا يقدم عليهِ الاَّ من يظن ان انشاء معمل مثل هذا من المبرات التي ينال صاحبها الثواب في الآخرة

وعمل الزجاج قد يكون منهُ ربح تجاري وقد لا يكون لكثرة ما يحتاج اليهِ من الوقود وكذلك عمل الخزف الصيني . ولو كان من هذين العملين ربح اكيد لاقدم عليهما غير واحد . وقد رأينا جنعن باشا باذلاً اقصى جهدهِ في عمل الخزف المدهون ولكنهُ فشل اخيرًا ولا يوجد على مائدة احد من اغنياء مصر صحفة واحدة او كوبة واحدة من خزف مصري او زجاج مصري لا لقلة الغيرة الوطنية بل لان ما يصنع من ذلك لا يستحق ان يوضع على مائدة

وزرع التوت لتربية الحرير جُرب غير مرة والذين جربوهُ كانوا من اشد الناس تحمسًا وثقة بالنجاح ولكنهم فشلوا وقلعوا التوت وهم يزرعون اطيانهم قطنًا الآن

ومع ذلك لا نرى ما يمنع كل صاحب فدان ان يزرع قيراطًا منهُ توتًا ويربي قليلاً من دود الحرير فان زوجتهُ تستطيع ان تربي هذا الدود وتطعمهُ ثم تحل الحرير وتنسجهُ كما تفعل اليابانيات وبعض السوريات او تبيعهُ بما يوفي تعبها ولو لا ان تربية دود الحرير تأتي في زمن خدمة القطن والقطن اربح من الحرير

وقد ظن البعض انهُ يوجد فحم حجري في طبقات الارض السفلى في هذا القطر فيرخص استعمال الآلات البخارية ولم نكن نرى ما يؤيد ذلك من باب علمي جيولوجي بل لو وجد الفحم لكان مقدارهُ قليلاً ليس من استخراجهِ ربح تجاري فتحقق رأينا ونشرت وزارة المالية بالامس المنشور التالي وهو

« كانت مسألة احتمال وجود الفحم الحجري في بعض اراضي القطر المصري موضوعاً للبحث والنظر في الثمانين السنة الماضية وادت في احوال عديدة وخصوصاً في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الى مباشرة البحث والاستكشاف

« وكان من رأي العلماء الباحثين في طبقات الارض (الجيولوجيين) ان من المشكوك فيهِ العثور على كميات من الفحم الحجري يصح ان تكون موضوعاً للاتجار فيها تتراءى لاولياء الامر ان انفاق اموال اخرى في سبيل العمل لاستكشاف الفحم لا مسوغ لهُ على انهُ لما ارتفعت اسعار الفحم الحجري في القطر المصري بسبب الحرب ذلك الارتفاع الفاحش عادوا فرأوا ان من الواجب لمصلحة هذا القطر استئناف البحث للتحقق من صحة ما اقرَّ عليهِ اولئك العلماء الخبيرون وهل هو مما يصح الوقوف عليهِ والركون نهائياً اليهِ

« وتحقيقاً لهذا الغرض اختيرت منطقة من المناطق المجاورة لبندر ادفو بالوجه القبلي لمباشرة البحث فيها ومعرفة ما اذا كانت ارضها تكنُّ الفحم في باطنها وقد اجريت اخيراً في ثلاثة اماكن منها عمليات مهمة للتحقق من ذلك فافضى البحث والاستكشاف الى النتيجة الآتية وهي انهُ وان وجدت كميات قليلة من المواد الفحمية في مشمع عظيم من ارض تلك المنطقة الاَّ انهُ لا امل في العثور فيها على عرق من الفحم يكون لهُ من تواصل امتدادهِ وعظم اتساعهِ اهمية اقتصادية جديرة بالعناية والذكر »

فقطعت جهيزة قول كل خطيب في هذا الباب من حيث وجود الفحم الحجري وقوداً ولكن في القطر مناطق واسعة من الصحاري الواطئة القريبة من النيل التي يمكن زرع الشجر فيها وقوداً ويسهل نقلهُ من جهة الى اخرى بعد ذلك بالنيل فيكثر الوقود ويرخص . ولا تقلُّ اهمية الغابات في البلدان المتمدنة عن اهمية منابع الفحم الحجري لان فيها الوقود وفيها ايضاً الخشب للبناء والتجارة وقد يكون فيها شيء من اصلاح الاقليم وهذا موضوع آخر سنشبع الكلام عليهِ في فرصة اخرى

الصناعة

معرض الصناعات المصرية

أقيم بالاسكندرية في خلال شهر اغسطس الماضي معرض للمصنوعات المصرية على منوال معارض البقول والاثمار والازهار التي كانت تقام في القاهرة

واحتفل يوم السبت ٥ اغسطس بافتتاحه فأمّه عظمة السلطان وحضرات الامراء والوزراء وسائر الكبراء وشاهدوا جميع معروضاته واعجبوا بها ايما اعجاب

وقد قُسم المعرض الى اقسام خص كل قسم منها بعرض اصناف من نوع واحد الاّ القسم الاول فقد شمل الصناعات الكبيرة والمراد بها بعض ما تصنعهُ المعامل الكبرى فشركة النسج المصرية عرضت هناك انواعاً من الاقمشة وفتلة القطن البيضاء والمصبوغة في شكل هرم يجري النيل تحتهُ في الفياض ممثلاً بالقطن المندوف . وفي هذا العرض اشتركت مصبغة ثابت في عرض المصبغات من مصنوعات الشركة المذكورة . ثم معروضات شركة كوتسيكا وقد عرضت تفل قصب السكر وتبن البرسيم والقمح والمحصول النقي على انواعهِ في زجاجات وبراميل . ومعروضات شركة الملح والصودا وهي انواع الزيوت والصابون والملح والصودا الكاوية وقوالب مضغوطة من كسب بزر القطن تستعمل علفاً للمواشي . ومعروضات شركة السكر والتكرير المصرية وهي انواع السكر وطرق استخراجهِ . وعرضت شركة الطرابيش الوطنية المصرية في قها انواع طرابيشها وطرق ندف الصوف وغزلهِ وحياكتهِ طرابيش . وشركات الاسمرة المعدنية انواعاً من الاسمرة المعدنية من الحديد والنحاس . وشركة كامبتون انواعاً مختلفة من الثياب . وماتوسيان اصناف الدخان والسجاير . وبولاتاكي الكنياك والروم . وشركة الثلج البلجيكية البيرا . وشركة معامل الكاوتشوك المصرية اصناف الكاوتشوك

اما القسم الثاني فقد خص بالاثاث والرياش والمفروشات فيهِ الخراجات صيدناوي والمستر ستورس سكرتير دار الحماية والخواجا يوسف نفر والسادات ماوردي وشركاؤهم ومدرستا طنطا ودمنهور الصناعيتان والسيد احمد حسن البقري وقد عرض مصنوعات من الاواني المطعّم

وخص قسم في ساحة المعرض بالآلات الزراعية وقسم بمصنوعات الطوب والقرميد والاسمنت والجبس والبراميل والادوات الصحية من الاسمنت المسلح والفخار

وتظهر ساحة المعرض العامة عظمة الصناعة الفردية اليدوية فهناك قسم التجارة العمومية والمباني وقسم الدباغة واشغال الجلود وقسم الصلال والخوص وقسم التطعيم وشغل العاج وقسم الصناعات المعدنية وقسم الصناعات الحقيرة المحلية وقسم خياطة الملابس وقسم الصناعات الصغيرة المختلفة وقسم الصناعات الكيماوية وقسم واسع للغزل والنسج وقسم المواد الغذائية وقسم الحبال والشباك وقسم صناعة الفخار وقسم زخرفة المعادن

وقد غطيت جدران هذه الساحة بالسجاجيد والحصر والابسطة من صنع البلاد واقيم في وسطها كشك جميل له قبة تسترعي الانظار وجلل من الداخل والخارج بقطع قماش الخيام موشاة برسوم ورموز مصرية جميلة تدل على ذوق سليم وهي من صنع الخيام الشهير اسماعيل عمر

ووضع في صدر الساحة المذكورة نول لحياكة القطن ونول آخر لحياكة الحرير من معمل السادات سليم عبده سليق وشركائهم . ونول جاكار للمدرسة الصناعية ونول لعمل السجاد ومع كل نول عماله يحركون اصناف الاقمشة والمصنوعات والى جانبهم المواد الخام

ومما استوقف انظار زائري المعرض « المنظرة » الشرقية البديعة التي صنعها المستر ستورس الكرتير الشرقي لدار الحماية وهي مفروشة بالرياش الشرقية تمثل ما كان يرى في المناظر الشرقية القديمة من ابسطة ودواوين ودكك ودواليب (خزانات) وكراسي وخشب معرق ومشاير وطشوت وابريق نحاس وصواني وشمعدانات و براويز وشيش ومراوح وما اشبه

ومما شاهدناه ويظهر لنا انه بلغ حد الاتقان وصار في الطاقة ان نستغني به عن مصنوعات اوربا التي من نوعه كل المصنوعات من الخشب الساذج والملطم فان الخزائن والموائد والكراسي المعروضة تغني عن مصنوعات اوربا التي من نوعها وقد لا تزيد عليها ثمناً مع ان موادها الاصلية من خشب وزجاج ورخام ومسامير وغراء وورنيش كل ذلك يؤتى به من الخارج

وكذلك جانب كبير من المنسوجات الحريرية والممزوجة من الحرير والقطن . والطرابيش والسجاد . والثياب والسمنت وما يصنع منه . واكثر ما يصنع من النحاس . ومن الجلد . و بعض ما يصنع من الحديد . والصابون على انواعه . والمربيات على انواعها . وكثير من

الاشربة الروحيَّة . كل ذلك يمكن الاستغناء به عما يرد من اوربا . وحبذا لو عدل صانعو السجاد عن الاكتفاء بزرع الصوف الطبيعي الابيض والاسود والاحمر واكثروا من صبغه بالالوان التي تكون عادة في السجاد الازميرلي والعجمي والبخاري واختاروا لها الاصباغ النباتية الثابتة والرسوم الشرقية المألوفة

ويتبقى ان لا يبرح من البال ان البلاد تقصد من الصناعة امرين الاستعمال المحلي والاصدار الى الخارج فيجب اولاً ان تصنع المصنوعات التي تُطلَب في البلاد حتى تناظر ما يجلب من الخارج متانةً ورخصاً . وثانياً ان تصنع المصنوعات التي تروج في اسواق اوربا كالسجاد على انواعه واشغال المشربية والآنية النحاسية وانواع الانسجة والمطرزات الشرقية والارواح التي تستخرج من الورد والنل والياسمين والنعناع والفتة وما اشبه . وتربيات الفاكهة ومكبوسات الخضر . فانهُ يسهل على القطر المصري ان يزاحم سائر البلدان في ذلك كله اما لان موادهُ الاصلية موجودة في البلاد او لانهُ يقتضي عملاً يدوياً كثيراً ولا يزال العمل اليدوي رخيصاً عندنا

ترعة بناما

ترعة بناما اكبر الاعمال الصناعية واعظمها واصعبها وقد بلغ ما انفق عليها مئة مليون جنيه وقد ظهر الآن ان الذين انشأوها اخطأوا في اختيار المكان الذي انشأوها فيهِ لان جانباً منهُ تراب متصل بتراب عالٍ فكانهُ سمهُ نوع من السائل ومهما اخرجت من هذا التراب من قلب الترعة صعد غيرهُ من جوف الارض وقام مقامهُ كأنهُ الماء ينبع من الارض اذا كان متصلاً بماء اعلى منهُ فان الكرا كات التي تنزع الاتربة من هذه الترعة لم يصنع الصناع اقوى منها ولما انهار جرف كبير بالامس وسدَّ الترعة جعلت هذه الكرا كات تنزحهُ فنزحت اكثر مما انهار ولكنها لم تنظف الترعة حتى الآن . فان كان الامر كذلك فلا بدَّ من العدول عن استعمال هذه الترعة او تحفر حفرة حول الجزء الذي مادتهُ ترابية ولو طالت الترعة بذلك كثيراً . والظاهر ان الاميركيين نظروا الى مصائب اوربا فهانت عليهم مصيبتهم بهذه الترعة ولذلك لم يكثروا من الشكوى منها حتى الآن

باب التقريظ والانتقاد

تصحيح لسان العرب

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق احمد بك تيمور بالقسم الاول من كتاب تصحيح لسان العرب . وهو حاوٍ لتنبيهات على اغلاط وقعت في نسخة لسان العرب للامام ابن منظور المطبوعة ببولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٨ . قال « وكنا عثرنا عليها اثناء المراجعة ونشرنا عليها فصولاً في صحيفة المؤيد ومجلي الضياء والآثار ثم بدا لنا ان نجمع شتاتها وننظم شملها في هذه الاوراق بعد ان نضم عليها ما لم يسبق لنا نشرهُ من قبل . ولسنا في ذلك ندعي عصمة او تنجيحين بفضل وانما هو جهد المقل دعانا امرضهِ على الانظار حرصنا على ردّ الكتاب الى نصابهِ من الصحة . فان لم نكن وُفقنا فيهِ الى الاصابة فحسبنا منهُ ارشاد المطالع الى مواضع فيهِ حرية بالبحث والنظر »

وقد عني بنشر هذا التصحيح حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي ووعد بنشر ما وصلت اليهِ يدهُ من التصحيحات الاخرى التي استدركها نفر من افاضل الباحثين مثل الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ حمزه فتح الله والشيخ ابرهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليسي وغير ذلك من التصحيحات التي يمكنهُ العثور عليها

وحبذا لو جمع هذه التصحيحات كلها ومزجها بعضها ببعض ونشرها في كتاب واحد واختار حروفاً يضعها الى جانب كل تصحيح اشارة الى صاحبهِ كحرف ت مثلاً اشارة الى تصحيح احمد بك تيمور هذا وحرف ش الى تصحيح الشنقيطي وحرف ي اليازجي وهلمَّ جرًّا فيسهل على كل من عندهُ نسخة ان يضم هذا الكتاب اليها

كتاب الفاخر

اهدي الينا كتاب الفاخر تأليف ابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي . اعتنى باستخراجهِ وتصحيحهِ المستشرق الدكتور امستاذ اللغة العربية في المدرسة الاسلامية بليكده (المند وطبع في مطبعة بريل بمدينة ليدن . واخذت نفقات طبعهِ ونشرهِ من المال المرصود تذكاراً للمستشرق المشهور دغويه . وهو يشتمل على ٥٢٦ من الامثال والاقوال المأثورة عن العرب

وشرحها ومن الغريب ان بعضها لا يزال مستعملاً حتى الآن وان اكثرها مذكور في مقامات الحريري ومقامات اليازجي مع ان مؤلف الكتاب من اهل القرن الثالث فمضى عليها اكثر من الف سنة ولم تزل على استعمالها . وقد احسن ناشر الكتاب فيما الحقهُ به من الفهارس التي يرتشد بها الطالب الى مكان كل مثل او قول اراده

تصحيح كتاب الاغاني

كتاب الاغاني عمدة في آداب العربية وقد قيض الله للنسخة المطبوعة منهُ ان وقف عليها اللغوي الحجة الدقة المرحوم محمد محمود الشنقيطي وصحح ما فيها من خطإ النسخ والطبع وما في فهارسها من النقص واضاف اليها حواشي كثيرة . وعني بجمع ذلك كلهِ حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي وطبعهُ . انتدبهُ الى ذلك حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا . وقد اشار الى الصفحة والسطر في طبعة بولاق وطبعة السامي في الاجزاء العشرين الاولى وفي طبعة ليدن وطبعة السامي في الجزء الحادي والعشرين . فجاء هذا التصحيح والزيادات في ٧٠ صفحة كبيرة تشهد للمصحح والجامع والناشر والمنتدب بالفضل وتوخي النفع للذين يرجعون الى هذا الكتاب النفيس الذي هو اكبر خزانة للآداب العربية

وكنا نظن ان طبعة بولاق اصح من طبعة السامي حتى اننا ابتعنا الاولى دون الثانية واذا هذا التصحيح يدل على ان طبعة السامي اقل خطأ من طبعة بولاق وصار من السهل تصحيح الطبعتين الآن

النتيجة السنوية

اهدت الينا النتيجة السنوية التي تصدرها جمعية النشأة القبطية الارثوذكسية وهي العشرون في بابها وقد صدرت برسمي عظمة السلطان وغبطة الابا كيرلص الخامس بابا الكرازة المرقسية . وجاء فيها ان مفتتح السنة ١٦٣٣ للشهداء يكون في ١١ سبتمبر القادم وهو يوم النيروز او راس السنة المصرية وفصلت فيها الاعياد القبطية بوجه خاص وهذا حسن . اما ما ليس بالحسن وكنا نردّ ان النتيجة تخلو منهُ في اعدادها المقبلة فهو امثالهم قولها انهُ في يوم الاحد ٧ توت يزرع الكرنب مثلاً . وفي ١٩ منهُ يكثر السفرجل وفي ٩ بابه يجنى القطن ثانية وفي ١٨ منهُ تكثر الامهاك الصغيرة (البارية) الى غير ذلك . فان هذا التدقيق في التعيين والتخصيص يفقد النتيجة كثيراً من قدرها في العيون لمخالفته للواقع كما لا يخفى

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ، وشرطنا على السائل (١) ان يمضي مسألته باسمه وافاديه ونحن افاضيه امضاءً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبعض حروفاً يدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اياه فليكرّره سائله فان لم يدرجه بعد شهر آخر نرجّح عدم اطلاعه لسبب كاف

(١) السناتوجين

نوى ، الخواجه عزيز متري ، اعتنم في اعداد المقتطف عن فوائد السناتوجين وقد اشتريناهُ فهل يجوز للعامل ان يتناول منهُ من غير ضرر

ج ، ان اصحاب المجلات والجرائد غير مسؤلين عن صحة الاعلانات التي ينشرونها ولاسيما اذا كانت عن مواد دوائية ، والسناتوجين من الادوية الخصوصية التي صنعها الالمان واكثروا من الاعلان عنها ، وقد سمعنا من بعض الذين يوثق بكلامهم وعلمهم انهم استعملوهُ وافادهم ولكن لا يثبت من ذلك ان لهُ كل المنافع التي تنسب اليهِ ونرجح انهُ لا يضر الحامل ان لم يفدها

(٢) زرع النخل

ومنهُ ، كيف يزرع النخل وهل يسمّد واي انواع السماد تصلح لهُ وهل يجوز ذلك في بدء زراعتهِ

ج ، تقطع الفسيلة من امها ويحفر لها حفرة صغيرة تزرع فيها ولا تسمد حينئذٍ عادة بل يكتفى بما يوضع في الارض التي تزرع فيها من السماد لاجل المزروعات الاخرى ، ومتى نمت واستغنى عن زرع الارض ولم تعد تسمد لان ليس فيها زراعة اخرى يحسن تسميد النخل حينئذٍ والسباخ البلدي يصلح لهُ

(٣) سماد القمح

ومنهُ ، اي سماد كيماوي افضل للقمح والذرة تترات الصودا او سلفات النشادر

ج ، لا يمكن الحكم في هذه المسألة الاّ بعد تجارب عديدة متكررة في ارض واحدة وقد يحتمل انكم تجدون التترات افضل من السلفات في بعض الاراضي والسلفات افضل من التترات في غيرها ، وقد جربنا نحن التترات في السنوات الماضية ومرادنا ان نجرب السلفات هذه السنة لنرى ايهما اصلح لاطياننا

(٤) سكان مصر الاولين

رمل الاسكندرية ، احمد القراء ، من كان يسكن مصر قبل قدماء المصريين

ج . يقول الباحثون في هذا الموضوع ان سكان مصر الاولين كانوا من السود او الاحباش ثم جاءها الناس بعض من سواحل افريقية الشمالي ومن سورية وبلاد العرب فامتزجوا بالسكان الاصليين وتكوّن منهم الشعب المصري القديم وكان الاختلاط على اكثر في الجهات البحرية (الشمالية) ولذلك فالسكان هناك يشبهون سكان غربي اسيا لوناً وشكلاً . وعلى اقلّ في الجهات القبلية (الجنوبية) فالسكان هناك يقرب شبههم من الاحباش لوناً وشكلاً

(٥) اول امة اشتغلت بالكيمياء

ومنهُ . مَن اول امة اشتغلت بعلم الكيمياء

ج . مبادىء بعض المعارف الكيماوية متوغل في القدم فالناس الذين تركوا عصير العنب او نقيع الحبوب حتى اختمر كان عملهم هذا من قبيل الشغل بالكيمياء والناس الذين اشعلوا النار وطبخوا الطعام كان عملهم من قبيل الشغل بالكيمياء ايضاً والناس الذين سبكوا الذهب والفضة والنحاس والحديد كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء . والناس الذين ركّبوا الادوية المختلفة كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء . فكل الامم اشتغلت بالكيمياء في سالف عهدها ولكن المعارف الكيماوية لم تصر علماً باصول الاّ في القرن الماضي وكان اكثر الناس اشتغالاً بها حينئذٍ الفرنسيس والانكليز والالمان

(٦) طوابي رأس البر

مصر . محمد كامل العمراوتي . الى عهد كم من الولاة سبق مصر يرجع تاريخ بناء الطوابي القديمة على ساحل بحر الروم التي منها الطابيتان المتهدمتان عند رأس البر

ج . جاء في الخطط التوفيقية ان قلعة البوغاز الكبرى سبق رأس البر انشأها الفرنسويون حينما احتلوا القطر المصري في القرية القديمة المسماة بقرية البرج ولم يبقَ من آثارها الاّ الجامع . ثم ان عباس باشا الاول انشأ القشلاق الكبير الذي هناك على شاطىء النيل وجعلهُ مخازن للبارود والمهمات العسكرية وصهريجاً لشرب العساكر المرابطين بتلك القلعة مع اهل عزب البرج . واما القلعتان اللتان في جهتي البوغاز شرقاً وغرباً فانشئتا في زمن الفرنسوية . وقلعة الدبة بنيت في زمنهم ايضاً وكذلك قلعة بوغاز البرلس

ثم ان عباس باشا انشأ اربعة ابراج غربي بوغاز دمياط وبرجاً فوق اشتوم الجميل شرقي قلعة الدبة ورممت مباني الفرنسويين في عهد محمد علي باشا وقويت ورمم اسمعيل باشا قلعة العزبة الكبيرة وعليهِ فتلك الطوابي والابراج بني بعضها في عهد الفرنسويين وبعضها في عهد محمد علي باشا وعهد عباس باشا ورممت في عهد محمد علي باشا واسمعيل باشا

(٧) تقريظ الكتب قبل قراءتها

مصر . احمد افندي عبد العال سلامه . لا يقرظ الانسان كتاباً او يتقدهُ الاَّ بعد قراءتهِ ولكن نجد في كثير من المؤلفات العصرية تقاريظ تلحق بها قبلما تنشر تلك الكتب فكيف ذلك

ج . يحتمل ان الذين يقرظون تلك الكتب يطلعون على مسوداتها وهي تطبع وذلك ليس بالامر الصعب

(٨) اعظم عمل هندسي

ومنه . ما اعظم عمل هندسي قام بهِ الانسان حتى الآن

ج . ترعة بناما فانها اعظم الاعمال الهندسية واكثرها نفقات اذ قد بلغ ما أنفق عليها مئة مليون جنيه وسور الصين اكبر من ترعة بناما ولكنهُ ليس من الاعمال الهندسية العظيمة

(٩) مقر الخلافة

ومنهُ . ما هي المدن التي جعلها الخلفاء مقرًّا لهم

ج . مكة ودمشق وبغداد والقاهرة وكانوا ينتقلون احياناً الى مدن اخرى ولكنها لم تكن مقرًّا لهم وانتقل آخر خليفة عباسي الى القسطنطينية ولكنها كانت منفًى لهُ لا مقرًّا لخلافتهِ

(١٠) معنى بعض الكلمات

ومنهُ . ما معنى هذه الكلمات بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس

ج معنى بروتستانت محتجون ومنهُ كلمة بروتستو لانهم احتجوا على بعض اعمال كنيسة رومية . ومعنى كاثوليك جامعة فالكنيسة الكاثوليكية معناها الكنيسة الجامعة . ومعنى ارثوذكس مستقيم الرأي فالكنيسة الارثوذكسية معناها الكنيسة المستقيمة الرأي

(١١) خواص الحيوان

ومنهُ . هل يعتمد على ما في كتاب حياة الحيوان ونحوهِ من الكتب في خواص الحيوان

ج كلا

(١٢) كتاب كيخوتي

يولس ابرس بالبرازيل . اطلعت نوَّاد انطون الحداد . ما رأيكم في ترجمة كتاب دون كيخوتي ليقابل مرقاتي الاسباني الى اللغة العربية وهو كتاب ليس لاسبانيا فقط بل للعالم اجمع وقد ترجم الى كل اللغات الحية منذ سنين عديدة وطبع لا اقل من ١٥٠٠ طبعة فطبع في الاسبانية اكثر من ٧٠٠ طبعة وفي الانكليزية ٢٣٠ طبعة وفي الفرنسوية ١٩٠ طبعة وفي الايطالية اكثر من ١٠٠ طبعة وكذلك في البرتغالية . وفي الالمانية اكثر من ٨٠ طبعة الخ وذلك في مدة ٣٠٠ سنة وهل ينال من يترجمهُ الى العربية ويطبعهُ فيها ربحاً ماليًّا او لا يكون لهُ الاَّ تقريظ الجرائد

ج · كتاب Don Quixote كبير ونظن انهُ ممن قد ترجم عنصرهُ وزين بالصور واهتم بنشرهِ بعض باعة الكتب فالمرجح ان مترجمهُ يكتسب منهُ بعض المال ولكن لا بدَّ من الانتظار الى ما بعد رخص الورق

(١٣) كتب سبنسر

ومنهُ · هل ترجم الى العربية بعض كتب سبنسر غير المقالات التي نشرتموها في مجلدات المقتطف الماضية

ج · ترجم منها كتابهُ في التعليم وطبع وكان فارس افندي الخوري قد شرع في ترجمة كتاب المبادئ الاولى كما اخبرنا ولكننا لم نسمع انهُ اتمهُ

(١٤) كتب لبرن وغيره

ومنهُ · هل ترجم شيءٌ من كتب ليبون وربيو وباحث وغيرهم من فلاسفة فرنسا في نشوء القوة ونشوء الاجتماع ونشوء المادة وتهذيب الارادة ونحو ذلك من اجل المواضيع التي بها تحيا الامم لا بالروايات الغرامية

ج · ترجم كتاب نشوء الاجتماع ولم يبلغنا انهُ ترجم غيرهُ من الكتب التي ذكرتموها · وعذر الناس في عدم ترجمتها ما اشرتم اليهِ انتم وهو طلب الكسب لا طلب الخسارة

(١٥) علاج البول السكري

البصرة · جميل افندي سركيس · ذكرتم في الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين للمقتطف ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية اكتشف دواءً شافياً للبول السكري فما اسم هذا الدواء بالانكليزية ومن اين يشترى

ج · لا نعرف اسم الدواء وكل ما نعرفهُ انهُ مركب من بيكربونات الصودا وملح الطعام وغيرهما كما جاء في الجزء المذكور وقد نقلنا هذا الخبر عن مجلة العلوم الطبية الاميركية

(١٦) تحليل البول

مفاتنه · محمد افندي حنفي · كيف يحلل البول

ج · لفحص البول غرضان الاول معرفة حال الجهاز البولي والثاني حالة انسجة الجسم المدلول عليها باليوريا · وهذه تعرف بان يؤخذ جزء من محلول الباريتا اي ٢٠ سنتمتراً مكعباً مثلاً و يضاف اليها جزآن من البول ثم ترشح و يؤخذ ١٥ سنتمتراً منها و يقطر عليها محلول تترات الزئبق ويحرك المزيج على الدوام حتى لا يبقى راسب ثم يقطر على لوح زجاج بعض نقط من مذوب كربونات الصودا ويضاف اليها نقطة من المزيج فان بقيت بيضاء وجب ان يضاف كمية اخرى من تترات الزئبق الى المزيج حتى يصفر · ثم ينظر كم أُضيف من التترات اليهِ فتعرف كمية اليوريا في ١٥ سنتمتراً من المزيج الاصلي وفيها ١٠ سنتمترات من البول · وبذلك

تعرف الكمية المفرزة في ٢٤ ساعة . وهذه الطريقة تستعمل ايضاً لمعرفة كمية الكلور في البول وقد اخترعها البارون ليبغ

ولمعرفة كمية الحامض اليوريك في البول يؤخذ ١٠ سنتمترات مكعبة منهُ ويضاف اليها ٥٠ س . م من الماء و ٥ — ١٠ س . م من مذوب النشاء ثم اقطر في المزيج محلول قيود وحرك المزيج وانتظر زوال اللون الازرق فاذا لم يزل بل بقي ساعة يكون العمل قد تم . فاضرب كمية اليود التي اضفتها في ٠٫٢١ فيكون الحاصل كمية الحامض اليوريك في اللتر

ولمعرفة وجود الزلال في البول ثلاث طرق مشهورة احداها ان يغلى البول بعد ان يضاف اليهِ نقط من احد الحوامض فان كان فيهِ زلال ظهرت فيهِ سحابة بيضاء متخثرة . والثانية — وتسمى طريقة هلر — ان يوضع شيء من الحامض النتريك في قعر انبوبة ويصب البول فوقها شيئاً فشيئاً فان كان فيهِ زلال تكوَّن خط ابيض كثيف عند ملتقى السائلين . والثالثة مثل الثانية ولكن يستعمل الحامض البكريك فيها مكان النتريك

ولمعرفة وجود السكر فيهِ خمس طرق منها طريقة موور وهي ان يوضع بعض البول الذي يراد تحليلهُ في انبوبة ويضاف اليهِ بعض ماء الصودا ليصير قلوياً ويغلى مدة فاذا كان فيهِ سكر تكونت من الاغلاء مادة صفراء ذات رائحة طيبة وهي المعروفة باسم كرَمِلاً . ومنها طريقة تروم وهي ان يوضع البول في انبوبة ويضاف اليهِ ثمنهُ حجماً من ماء البوتاس ونقطة او نقطتان من محلول سلفات النحاس فيزرق المزيج وحينئذٍ يوضع على النار فاذا كان فيهِ سكر تحول اللون الازرق احمر واصفر . ومنها طريقة فهلن وهي ان يؤخذ محلول مزرق مؤلف من سلفات النحاس واسمهُ ملح روشل وشيء من البوتاس الكاوي ويوضعان في انبوبة ويغليان ثم ترفع الانبوبة عن النار ويضاف اليها بعض نقط من البول المراد فحصهُ فاذا كان فيهِ سكر صار لونهُ احمر واصفر من تكون املاح النحاس

ويطول بنا الكلام اذا شرحنا ذلك كلهُ بالتفصيل واضفنا اليهِ الطرق التي تستعمل لمعرفة مقدار ازدياد بعض الحوامض في حال المرض كالحامض الكبريتيك والفصفوريك وغيرها

الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٥	٦	٢٦	صباحاً
البدر	١١	١٠	٣١	مساء
الربع الاخير	١٩	٧	٣٥	صباحاً
المحاق	٢٧	٩	٣٤	٠
القمر في الحضيض	٩	٣	٢٤	مساء
٠ ٠ الاوج	٢١	١١	٣٦	صباحاً

السيارات

عطارد والمريخ يكونان كوكبي مساء
الزهرة وزحل يكونان كوكبي صباح
المشتري يشرق نحو الساعة الثامنة مساء

الدكتور دانيال بلس

جاءنا من بيروت نعي استاذنا المرحوم الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت . كانت وفاتهُ في اواخر شهر يوليو الماضي بعد مضي ٥٠ عاماً على افتتاح الكلية وقد تولى رآستها من حين افتتاحها الى سنة ١٩٠٢ ثم خلفهُ نجلهُ الاكبر الدكتور هوَرد بلس رئيسها الحالي . وقد نشرنا ترجمتهُ وتاريخ رآستهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف . ونكتفي في هذا المقام بالقول انهُ بقي بعد استعفائهِ يلاحظ سير الكلية ملاحظة غير رسمية . ومن فرط ولعهِ بها وغيرتهِ عليها طلب ان لا تكتف يدهُ عن العمل بتاتاً فاجيب الى طلبهِ فكان يجتمع ببعض الطلبة بضع ساعات في الاسبوع ويشرح لهم بعض المسائل الادبية . كان مرة يمشي في ارض المدرسة حيث الطريق المعروف باسم السركل وهو يطل على بحر الروم غرباً وترى منهُ قمم لبنان العالية المكسوة بالثلج وسفوحهُ المكسوة بالغابات والقرى المنفذة والضياع العامرة فلقي بعض الطلبة فوقف واستوقف وقال « زرت بلاداً كثيرة من هذه المعمورة ولكني لم ارَ بقعة اصفى سماء وانقى هواء واسلم للعين وانضر للقلب من هذه البقعة الطيبة » . وكان يتمنى ان يموت ويدفن فيها فتم لهُ ما تمنى . توفي ولهُ من العمر ٩٣ سنة وسيتعسَّر المئات من تلاميذهِ حيثما يبلغهم نعيهُ لانهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى بيروت لتوديع رفاتهِ الوداع الاخير ولانهُ توفي قبلما يشهد يوبيل الكلية الذي كنا نرجو ان يحتفل بهِ في الشهر القادم

نفع الاثمار

نشرت احدى المجلات الانكليزية المشهورة مقالة ادعى كاتبها فيها ان اكل الاثمار يقوي الصحة ويزيد القوة ويطيل العمر. ومما جاء فيها ان عصير البرتقال والليمون يفعل فعل السحر في الفضلات الكلسية التي تجتمع في الجسم وتقسّي الشرايين وتسهل انفجارها. وبعبارة اخرى انهُ الدواء الشافي للداء المعروف باسم تصلب الشرايين الذي يفضي الى السكتة. وان اكل السمك ولحم الخنزير يجلب السرطان والخنازيري والاورام والدمامل على انواعها. وان اكل بعض المواد النشوية السهلة الهضم يفضي الى كسل الجهاز الهضمي وقبض الامعاء وكثرة استعمال المسهلات. وقد انتقدت مجلة ناتشر العلمية هذه المقالة وقالت ان كثيراً مما اوردهُ صاحبها فيها بصورة حقائق ثابتة لم يثبتهُ الامتحان حتى الآن مثل قولهِ ان عصير البرتقال يمنع السكتة ولحم الخنزير يجلب السرطان وما شاكل ذلك

بعض اطوار الغراب

يسطو على الغراب بعض انواع العقاب فيحاول الغراب اتقاءهُ بالطيران من وجههِ فاذا ادركهُ طرح الغراب على الارض مستلقياً وجعل يقاوم مطاردهُ بمنقارهِ ومخالبهِ فينجو منهُ على الغالب. ومتى بلغت فراخ الغراب دور الطيران جعل ابوها وامها يدربانها على الافلات من العقاب فيمثل ابوها دور العقاب ويطارد فراخهُ ويعلمها الاستلقاء على ظهورها فلا تلبث الاَّ القليل حتى تتعلم درسها وتتقنهُ

البلاغرا واكل اللحم

ثبت الآن ان للطعام فعلاً كبيراً في سبب البلاغرا وشفائها ومنعها وان البلاغرا تنتشر في البلاد التي يقلُّ فيها اكل اللحم. وعليهِ رأى العارفون وجوب الاكثار من اكل اللحم في البلاد التي تنتابها البلاغرا واقترح الدكتور ستيلس الاميركي المشهور باختباراتهِ في هذا المرض ان تختار تربية الارانب البرية والاهلية لسهولة تربيتها وكثرة انتاجها ورخص علفها فيأكل الفقراء لحمها اذا تعذر عليهم ابتياع لحم البقر والغنم

حيلة تجارية

عمد احد معامل الملبوسات الاميركية الى تقديم طعام الغداء الى عمالهِ بثمنهِ الاصلي من غير ربح فكانت النتيجة ان العمال زادوا رغبة في العمل فزاد ربح المعمل. وان المعمل تمكن بهذه الخطة من الحصول على الايدي العاملة في اي وقت شاء ولو في وقت قلة العمال وازدحام الاعمال

النظام العشري

عقد احد المجالس التجارية المشهورة في لندن جلسة وافق فيها على القرار الآتي :

(١) انهُ نظراً الى النفع الكثير الذي يعود على التجارة الانكليزية الخارجية من استعمال النظام العشري في النقود والاوزان والمقاييس يرى هذا المجلس وجوب اتخاذ التدابير اللازمة لاقتباس النظام المذكور حالاً ليكون معمولاً بهِ قبل انتهاء الحرب

(٢) لما كانت انكلترا وحليفاتها تتفاوض لتتعاون على الاعمال التجارية يداً واحدة في المستقبل فمن الامور العظيمة النفع حسبان لغة واحدة اللغة التجارية المعترف بها والمصطلح عليها فتعلم في المدارس الانكليزية وفي مدارس الحلفاء ولا فرق بين ان تكون هذه اللغة هي الانكليزية او الفرنسوية او الروسية او الاسبرانتو او غيرها من اللغات التي تجتمع كلمة الحلفاء عليها

بقايا الانسان

عثروا حديثاً في انكلترا على هيكل عظمي ظهر بعد البحث انهُ هيكل غلام من العصر الحجري الحديث وهو اصغر كثيراً من هيكل غلام من سنهِ في هذا العصر . وعثروا ايضاً على جمجمة انسان قبل العهد الروماني او عهد التاريخ . ومن رأي الاستاذ كيث انهُ ليس بين الجماجم الانكليزية التي وجدت من بقايا هذا العهد جمجمة واحدة ذات انف بارز العظم

آفة التوربيد

لما رأى المهندسون الميكانيكيون ان الشبكة التي تحاط بها السفن البحرية لاتقاء التوربيد غير وافية بالمرام اخترع بعضهم واسطة اخرى وهي ان تحاط السفينة بمنطقة تكون على بعد بضع اقدام من بدنها ويكون الماء بينهما . فاذا ضربت السفينة بالتوربيد اصاب هذه المنطقة اولاً فانفجر ولم يؤثر في السفينة نفسها . وقد جهز الانكليز بها سفنهم الجديدة من الطرز المعروف باسم مونيتور

المدافع الضخمة

الفرق بين المدافع الضخمة من برية وبحرية ان المدفع البري الذي من عيار ٤٢ سنتمتراً مثلاً (وهو اضخم المدافع البرية) سرعة القنبلة فيهِ الف قدم في الثانية الى ١٥٠٠ وقوة ضغط البارود في خزنة المدفع ١٤ طناً على كل بوصة مربعة . اما اضخم المدافع البحرية وهو من عيار ٣٧ ½ بوصة فسرعة القنبلة فيهِ ٢٥٠٠ قدم الى ٣٠٠٠ في الثانية وقوة ضغط البارود في خزنتهِ ١٨ الى ٢٠ طناً على البوصة المربعة . ومن رأي احد الخبيرين انهُ يمكن سبك مدفع يحتمل ضغط ٣٠ طناً على كل بوصة مربعة

الذهب في العام الماضي

استخرج من مناجم الذهب في العالم الماضي ما يساوي ٩٦٩١٥٠٠٠ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

من فكتوريا باستراليا	١٣٩٨٠٠٠
» غرب استراليا	٥٠١٣٠٠٠
» كوينسلند	١٠٧٩٠٠٠
» نيوسوث ويلس	٥٥٩٠٠٠
» تسمانيا	١٠٠٠٠٠
» جنوب استراليا	٣٦٠٠٠
» زيلندا الجديدة	٩٠٠٠٠٠
» الولايات المتحدة	٢٠٣٠٠٠٠٠
» كندا	٣٩٠٠٠٠٠
» الهند	٢٣٦٦٠٠٠
» غرب افريقية	١٧٠٧٠٠٠
» الترنسفال	٣٨٦١٧٠٠٠
» روديسيا	٣٨٢٣٠٠٠
» سائر البلدان	١٧٠٠٠٠٠٠
والجملة	٩٦٩١٥٠٠٠

الفضة في العام الماضي

بلغ ما استخرج من مناجم الفضة في العالم الماضي ١٩٥٩٨٥٦٠٠ اوقية وهي تساوي ١٩٧٠٩٠٠٠ جنيه وكان في العام الذي قبلهُ ٢١١١٠٣٣٧٧ اوقية تساوي ٢٢٢٦٤٨٠٩ جنيهات

الحرير في العام الماضي

بلغ محصول الحرير في اوربا في العام الماضي ٣٢٢٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ٤٨٤٠٠٠٠ وهو من فرنسا وايطاليا واسبانيا والنمسا وقد نقص فيها كلها. وبلغ في الشرق الادنى اي تركيا والقوقاس والبلقان واليونان وأيران ١٠١٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٧٨٥٠٠٠ وقد نقص في هذه البلدان كلها. وبلغ في الشرق الاقصى ١٨٨٤٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٥٥٩٥٠٠٠ واكثر الزيادة في اليابان والصين. وجملة محصول العام الماضي ٢٣٠٨٥٠٠٠ كيلو والعام الذي قبلهُ ٢٢٢٢٠٠٠٠ كيلو اما الزيادة في محصول اليابان فنحو ثلاثة ملايين كيلو او نحو ثلاثين في المئة من محصولها

اعظم مدى للتلغراف اللاسلكي

خرجت باخرة اسمها سيبرا من ميناء سان فرنسسكو فلما صارت على بعد ٤٨٧٠ ميلاً منهُ في طريقها الى استراليا ارسلت رسالة لاسلكية الى محطة التلغراف اللاسلكي في سان فرنسسكو وهي على ذلك البعد فسمعت المحطة بها وعلمت منها مكان السفينة في عرض البحر. وهذه المسافة هي ابعد مدى للتلغراف اللاسلكي حتى الآن

قصاص العلماء الادبي

اجتمعت الجمعية الكيماوية في بلاد الانكليز واقرت على حذف اسماء العلماء الالمان من بين اسماء اعضائها سواء كانوا اعضاء مراسلين او اكراميين لانهم من امة معادية ولانهم مالأوا امتهم على معاداة الانكليز وهم العلماء بير وكورتيوس وفشر وغريبي وفون غروت ونرنست واوسولد ووخ وفلستاتر وكانوا قد انتخبوا اعضاء في تلك الجمعية لما افادوا به علم الكيمياء . وقررت ان حذف اسمائهم لا ينفي احترامها لمعارفهم والاعجاب بها

ارتفاع الطيارات

ارتفع طيار انكليزي اسمهُ هوكر في ابريل الماضي الى نحو ٢٤٤٠٨ اقدام بطيارته فحسب نادي الطيران الملكي ذلك اعظم ارتفاع بلغهُ طيار حتى الآن وسجلهُ لهُ . وكان احد الطيارين الالمان قد قال انهُ بلغ علو ٢٥٧٥٦ قدماً سنة ١٩١٤ ولكن النادي لم يعترف بذلك رسمياً

تركيب دم الحيوانات

فحصت المس بيوكنان الانكليزية المقيمة في استراليا دم بعض ذوات الثدي للمقابلة بينها فوجدت ان اخلايا الحمراء تنقص حجماً وتزداد عدداً في ذوات الثدي بالارتقاء من ادناها الى اعلاها . اما الخلايا البيضاء فتقل عدداً وتزداد حجماً

ما بني من السفن وغلاء الشحن

ذكرنا في الجدول التالي محمول ما بُني من السفن في البلاد الانكليزية وفي سائر البلدان في السنوات الخمس الاخيرة بالطن ليظهر تأثير الحرب في هذه الصناعة

السنة	في انكلترا	في سائر البلدان
١٩١١	١٨٠٣٨٤٤	٨٤٦٢٩٦
١٩١٢	١٧٣٨٥١٤	١٠٦٣٢٥٥
١٩١٣	١٩٣٢١٥٣	١٤٠٠٧٢٩
١٩١٤	١٦٨٣٥٥٣	١١٦٩٢٠٠
١٩١٥	٠٦٥٠٩١٩	٠٥٥٠٧١٩

وهذا النقص في سنة ١٩١٤ و ١٩١٥ ناتج من انصراف همة انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا واميركا الى بناء السفن الحربية بدل السفن التجارية . فقد كان محمول ما بني من السفن التجارية والحربية معاً في بلاد الانكليز سنة ١٩١٣ نحو مليوني طن فهبط سنة ١٩١٥ الى ٦٥٠ الف طن وكذا في سائر البلدان على ما ترى في الجدول المتقدم . فاذا اضفنا الى ذلك ما غرق من السفن التجارية زمن الحرب رأينا ان لا بدَّ من بقاء اجرة الشحن غالية بعد الحرب الى ان يبنى من السفن ما يقوم مقام ما غرق منها وما منع بناؤهُ بسبب الحرب

المصريون الاقدمون

بحث بعضهم في اثار سكان هذا القطر في العصر الحجري الجديد ونشر بحثهُ في مجلة الانسان (Man) وخلاصتهُ ان سكان هذا القطر كانوا قبل عصر التاريخ من الاحباش ثم جعلت الاقوام الشمالية تأتيهم من سورية وشبه جزيرة سينا والشاطئ الشمالي الغربي من افريقية وتمتزج بهم

النحاس في العام الماضي

قدّر ما استخرج من النحاس في العام الماضي ١٠٦١٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٩٢٤٠٠٠ طن واكثر من نصفها في الحالين من الولايات المتحدة الاميركية

القمح في العام الماضي

بلغت غلة الدنيا من القمح في العام الماضي والذي قبلهُ ما تراهُ في هذا الجدول وهي بالكوارتر وهو نحو اردب ونصف

	١٩١٥	١٩١٤
اوربا	٢٨٥٤٤٠٠٠	٣٤٦٣٨٣٠٠٠
اميركا	١٩١٦٧٠٠٠	١٥٧٧٢٨٠٠٠
اسيا	٥٢٥٧٢٠٠٠	٤٣٤١٣٠٠٠
افريقية	١٠٩٠٠٠٠٠	٩٣٠٠٠٠٠
استراليا	٢٤٢٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠
والجملة	٥٦٩٧٨٢٠٠٠	٤٦٠٧٣٧٠٠٠

سوبر تسبلن

سميت السفن الحربية الحديثة التي هي اكبر من الطرز المعروف بطرز درينوط سوبر درينوط اي فوق الدرينوط. وقد بنى الالمان بالونات اعظم من طرز تسبلن سموها سوبر تسبلن وجعلوا يجربونها فوق بحيرة كونستانس في سويسرا. طول الواحد منها ٧٥٠ قدماً وسعتهُ ٥٤ الف متر مكعب على ما يظن اي ضعفا تسبلن المعروف وثقلهُ نحو ٤٠ طناً وفيهِ اربع آلات محركة واربعة قوارب مدرعة لركوب رجالهِ وعدد من البنادق المتعددة الطلقات والآلات الخاصة بقذف القنابل والتوريد

السكر في العام الماضي

قدّر محصول سكر البنجر في العام الماضي ٦٣٢٠٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٨٢٥٤٠٠٠ طن واكثر النقص في المانيا فقد كان محصول سكرها في العام الماضي ١٧٢٠٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٢٥٠٠٠٠٠ طن وفي النمسا فقد كان في العام الماضي ١٠٣٣٠٠٠ طن وفي الذي قبلهُ ١٦٠٢٠٠٠ طن

وقدّر محصول سكر القصب في العام الماضي ٧٢٥٦٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٧٣٥٣٠٠٠ والزيادة كلها في جزيرة كوبا

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين

صفحة
٢٠٩ شكسبير (مصوّرة)
٢١٣ غستون مسبرو · لتوفيق افندي اسكاروس (مصوّرة)
٢١٧ الشيخ ابراهيم الحوراني · لأسعد افندي داغر
٢٢٥ المعرّي وفلسفتهُ · لعباس افندي محمود العقاد
٢٣١ الانكليز وسياسة التوفير
٢٣٣ الحرب وموارد الرجال
٢٣٦ التنقيب العلمي
٢٤٠ الانسان ازاء المدنية · للدكتور نقولا فياض
٢٤٧ مصر منذ تسعين سنة · لديمتري افندي نقولا
٢٥٦ معركة جتلند البحرية (مصوّرة)
٢٦٤ في جحيم الصحراء
٢٦٨ كباري الحديد (مصوّرة)
٢٧٢ سكان غربي آسيا

٢٧٥ باب الزراعة * استغلال الارض · مقطوعية القطن في العالم · دود لوز القطن · القطن ودودهُ ودود لوز · انصادرات الزراعية · مؤتمر القطن
٢٨٦ باب تدبير المنزل * الترسطاريا · اعداد القهوة · نفع القطة
٢٨٩ باب المراسلة والمناظرة * جمعية آداب اللغة العربية بلندن · الصناعة الوطنية
٢٩٦ باب الصناعة * معرض الصناعات المصرية · ترعة بنما
٢٩٩ باب التقريظ والانتقاد * تصحيح لسان العرب · كتاب الشاعر · تصحيح كتاب الاغاني · النتيجة السنوية
٣٠١ باب المسائل * وفيه ١٦ مسألة
٣٠٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ مادة